وَتَمَّتْ كَلمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً
لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَتِهِ..

قل "آية"
كما قال الله..
لا تقل "معجزة"
كما يقول الناس!.

قل "ملّة" كما قالَ اللهُ.. لا تقل "عقيدة" كما يقول الناس!.

قال ﷺ

«سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»

رسائل

"أهل القرآن"

بيت المقدس

صلاح الدين إبراهيم أبو عرفة

مقدّمة لا بدّ منها

قد يبدو لك هذا, ممّا لا فرق فيه, ولا حاجة لمجهود في طرحه والانــشغال بــه!, فالمعاني –كما تبدو للناس– متشابهات, ولو اختلفت ألفاظها!, والمراد منها معلوم متفق،كما يظن الكثير!, وسيقول قائل: لا حاجة للتشديد على أمــور كهــذه, والمسلمون فيما هم فيه من الفُرقة والهوان والتيه!.

وستكشف لك هذه الرسالة النصيحة, هول المصيبة, وعظَمَ البلاء, وأن ما يبدو لنا, ليس هو الحقيقة!. {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}.

وأنّ وراء هذا "التحريف" من وراءه, –ونبرّئ منها كــلّ المــؤمنين–, وأنّ أوّل الضلال كان من تحريف "الآية", وأن أول "الفُرقة" كان من تحريــف "الملّــة"!. كيف لا, وكلمة"الملّة" من سنام الدين, و"الآية" سبيل الناس إلى الهدى!؟.

فالذي بدّل "المعجزة" بـــ"الآية", –أوّل من بدّلها–, فقد أضلنا عن خير عظــيم, وأخفى بها نوراً مبيناً, وصيّرنا بها أول العاجزين!.

ومن بدّل"العقيدة" بـــ"الملّة" –أول من بدّلها, ونبرّئ منها كلّ المؤمنين–, فقــد قطع ميثاقنا بيننا وبين أبينا إبراهيم, وبذر بها بذور الفُرقة والشقاق بين المسلمين!.

ثم ستكشف لك هذه الرسالة النصيحة, خطر "الاسم" ومكانته في حكمة الدين, ألم ترَ أن الله افتتح كتابه الخاتم بكلمة "الاسم"؟!. ذلك, لتعلم أن من بدّل "الملّة والآية" فعن سوء وكيد معلوم, ولا نتّهم بها أحداً من المؤمنين!.

ألا تخشى أن تصيبنا دعوة نبي الله ﷺ: «سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»؟.

فاصبر وتريث, فإن يكُ حقاً, فقد أصبته, وإن يكُ باطلاً فقد عرفته!.

بسم الله الرحمن الرحيم

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}

وإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللَّه, وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ, وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا, وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِى النَّار.

في هذه الرسالة, نصيحة للمؤمنين, وتبصرة بخلل وزلّة شائعة بينهم, هو قولهم "المعجـــزة", التي يصفون بها كتاب الله العظيم, تعبيراً لعظمة هذا القرآن, وعلوّه وانفراده بالحسنى من كل مثل!. مخالفين باستعمالهم لــ"المعجزة" كلمات الله وتسمياته, تقدّس اسمه الحكيم!.
فقد سبقت كلمة الله من قبل, بتسمية هذا العلوّ المتفرّد للقرآن, بـــ"الآيـــة" و"البينـــة" و"البرهان", {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا}؟!. فلا حاجة أبداً, للقول على قول الله، ولـــو بدت لنا الكلمات جميلة رنّانة!.

وقول "المعجزة", تبديل لكلمات الله بعد تتريلها, زيادة على فساد نـــسبة "التعجيـــز" إلى مراد الله من القرآن, –على أي وجه أو تصريف كان–, بعدما أنزله الله نـــوراً وهـــدى ورحمة, {كِتَبٌ أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ}. فلو كانـــت هذه التسمية الشاملة المشهورة، حقاً من عند الله، لسبقنا إليها نبينا ﷺ.

فاعلم أخي, حقّ اليقين, أن العالمين من الثقلين, لا يأتون, ولن يأتوا بسورة مثل القـــرآن, ولا يماري في هذا إلا من كفر بما أنزل على محمدﷺ !, ولكن كما أيقنا بهذه البينة من الله, فعلينا كذلك أن نسمّي ما يُبنى على هذه الحقيقة كما سمّاه الله!. أما أن نتناصف الدين مع الله, عليه الفعل, وعلينا التسمية, فهذا هو العدوان بعينه، عند من لا يرجون لله وقاراً!.

فكان على كل مؤمن, أن يستمسك بالاسم الذي سمّاه الله, وسمّاه رسوله ﷺ, مـــن غـــير تحريف ولا تبديل!. {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَن تَجِدَ مِـــن دُونِه مُلْتَحَدًا}.
وتؤكّد هذه الرسالة, هيمنة القرآن على العالمين جميعاً, دونما غلوٍّ أو اختلاق "لأوصـــاف" فاسدة لا أصل لها، لا في كتاب الله العليم الحكيم، ولا في حديث نبينا المعصوم ﷺ!.

فاعلم من الآن, أن الله لم يذكر في القرآن كله, لفظ "معجـــزة القـــرآن", أو "معجـــزة النبي"!, والله أعلم وأولى بتسمية كتابه, {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ}, وإنما جـــاءت هـــذه التسمية بعد شيوع الفلاسفة وأهل الكلام، بعد قرون من وفاة نبينا ﷺ، وكفى بظهورهـــا عند هؤلاء شكّاً بها وارتياباً!.

فالقرآن والنبوة, أكرم وأعظم من أن يوصف بـــ"الإعجاز والتعجيز", بل هو "آيـــة الله, ونوره, وبرهانه المبين"!.

فقد ترك نبيّنا ﷺ الدنيا, وتركها أصحابه من بعده, وليس فيهم مـــن "يـــصف" القـــرآن بـــ"المعجزة", وهم أهله وأعلم الناس به!. بل, لا يزال مجهولاً نَكرة, من أدخلـــها علـــى المسلمين!. فلا تلتفت لمن يقول بها, ولو تداولها الإخوة العلماء, فإنما الحق ما اُوحي به إلى محمد ﷺ, وما دونه فزخرف وظَنون!.

وهذه الرسالة تثبت بالآيات والأحاديث البينة, انحراف هذا "الوصف" وبطلانه, بل تثبت أنه ليس مجرد تبديل لكلمات الله, فالقول بـــ"المعجزة", تَعَدٍّ وعبثٌ في هيبة القرآن ومجده وعظمته, ضيّعت وفوّتت على المؤمنين نوراً وخيراً عظيماً!.

كذلك تبصّر هذه الرسالة, –بالبيّنة والبرهان من الكتاب والسنة–, بخلل وزلة أخرى في رأس "أسماء" الدين, وهو تبديل الناس كلمة "العقيدة" بكلمة "الملّة" و"الإيمان"!, فاستبدلوا بكلمة الله كلمة من عندهم, لم ترد في القرآن ولا في حديثه ﷺ، ثمّ رفعوها وقدّموها على كلمات الله العلي العظيم!.

وسيقولون: لا فرق بين "الآية" و"المعجزة", وبين "الملّة" و"العقيدة", فكلها ألفـــاظ لمـــراد واحد!. فنقول: بل هو فرق بالغ مبين!. ويكفيك أن "الآية" و"الملّة"، كلمات الرب الملك الإله العليم, و"المعجزة" و"العقيدة" كلمات عبد ضعيف نَسيٍّ جهول, فأنّى تـــستويان!؟. فلْيختر كلٌّ وليّه فيهما, {إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَبَ}.

ومن استخف بهذا التفريق و"التحريف", ولم ير به بأساً, فليذكر أن "العزيز" اسم لله, وأن "العُزّى" اسم لصنم, وكلاهما على جذر واحد، وأنّ من لم يُفرّق بينهما فقـــد خلّـــط في دينه!.

فالأمر –أهلنا المؤمنين– ليس مجرد اختلاف في الأسماء كما يبدو لكثير من الناس!, بل هو أبعد وأشدّ!, فيكفي أن تتنبّه وتسأل: لمَ الإصرار على تبديل وتحريف "الأصول" الـــتي في رأس الدين من "الملّة" و"الآية"؟!, فهل بيننا وبين الله إلا "الملة"، أن لا إلـــه إلا الله، وقـــد

سمّاها لنا بنفسه, و"الآية" التي عرَفناه بها؟. أرأيتم لو بدّل لكم أحدهم كلمة "الـــدين" أو اسم "الإسلام", أكنتم مصدقيه!؟.

ثم انظر كيف نأى القرآن والنبي ﷺ, عن استعمال إحدى اللفظتـــين, فخـــلا الوحيـــان الطاهران منهما خُلوّاً جليّاً!, ثم انظر كيف يُصرّ الناس على أن يجعلوها دينـــاً وتنزيـــلاً!, أليس في ذلك ما فيه من الريب؟.
فلمَ بقيت الشمس شمساً, والقمر قمراً, وصارت "الملّة" عقيدة, و"الآية" معجزة؟!. فعـــن مثل هذا قال ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ» –يَعْنِى الإِسْلاَمَ– «كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ كَفْيَ الْخَمْرِ»!. فَقيل: فَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ فِيهَا مَا بَيَّنَ؟, قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا»!.

فهل يضمن لنا المتقبّلون هذه المصطلحات المُحدثة, المُقرّون بها, قبـــول نـــبي الله ﷺ لهـــا, وإقراره لهم على فهمهم وتوصيفهم؟. فإن يـــضمنوا فليـــأتوا بكتـــابهم منـــه ﷺ, وإن لم يضمنوها, فهو الظن المحذور, فكيف يقيمون دينهم على الظن والتخريص, ثم ينشرونه في المؤمنين؟, {إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}, أفندَع كتاباً لا ريـــب فيه, ونتابع ريباً لا يقين فيه!؟. {لَوْلاَ يَنْهَهُمُ الرَّبَّنِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ}.

فإيّاك إيّاك, وتحريف كلمات الله الحكيم المتكبّر, فيما سمّاه!, فلم يُخوّل الله أحداً تبـــديل كلماته, ولو كان أعلم أهل الأرض!.
فقول الله قولٌ فصل مُحكم، لا ينبغي لأحد خلافه, {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}!.

ونعلم أن كثيراً من الناس, سيستغربون نصحنا هذا, وسيُنكرونه, وسينهَوْن عنه وينـــأون عنه!.
فنقول: يكفينا أننا نشهد ونضمن، أننا نقول بقول الله ورسوله ﷺ وأصـــحابه الأُمنـــاء, والتابعين, وتابعي التابعين, ولا نقول خلافهم, وأنّ إخواننا هم الذين خالفوا, وقالوا مـــا لم يقله الله ولا رسوله ﷺ!, وأننا أتينا بما يلزمنا, من البينات والـــبراهين, لخـــير النـــصيحة للمؤمنين وللنبوة والكتاب.

ونعلم أنّ من يخالفنا من إخواننا المؤمنين, سيأتون بــــ"أقـــوال" و"آراء" و"توصـــيفات", ليست من عند نبي الله ﷺ وأصحابه, ليتابعهم الناس على قول غـــير الـــذي في النبـــوة والكتاب!.

وأن لو كنّا وإياهم بين يدي نبي الله ﷺ, للزمهم هم البينة والبرهان, أن أحدثوا في الـــدين ما لم يأت به النبي ﷺ, ولما لزمنا من ذلك شيء, على ما استمسكنا به واتبعناه فيه, ولم نزد عليه!.
وقد أنزل الله علينا في الكتاب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّـــهِ وَرَسُـــولِه}, فقال صاحب رسول الله ابن عباس رضي الله عنهما: "أي لا تقولـــوا خـــلاف الكتـــاب والسنّة"!. وهل المسمّاة "المعجزة" و"العقيدة" إلاّ من هذا بعينه؟.

فلن يقبل المؤمنون المعظّمون لنبوة نبيهم ﷺ, ولكتاب ربهم, أن يصير ما لم يكن بين يـــدي نبي الله ﷺ, ولا أصحابه ولا تابعيهم, ولا تابعي تابعيهم, أن يصير للمسليمن ديناً ومشعراً حراماً, حتى إذا جئنا ننصح فيه, تمسّك أصحابها بها كأنها من عند الله, وما هي من عند الله ولا رسوله, ولا الذين معه, ولا الذين من بعدهم, فصرنا بها غرباء مخالفين, وكفى بـــالله شهيداً, وكفى بالله حسيباً!.

فما قلنا هذا ولا كتبناه, إلا نُصحاً وتعظيماً وإكباراً لله, ولكتابه وكلامه, لا نبغـــي فيـــه خلافاً ولا فساداً!. فاعلم هذا, ثم اختر لنفسك أيّ الفريقين عندك أهدى سبيلاً!.

{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ, فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً}.

فصول الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية, نُذكّر كل مؤمن يقرأ هذا, أننا والمؤمنين القائلين بـ"المعجزة" و"العقيدة", -وهناك ثالثة أخرى نكدة، سنفرد لها المقال والتفصيل بإذن الله وهدايته وتسديده-، نذكّرهم بأنّنا وإيّاهم كنا في غنىً عن كل هذا الجدل, لو أننا اليوم في العام الذي قُبض فيه نبي الله محمد ﷺ, إذ لم يكن يومها من يقول "إعجاز" ولا "معجزات" ولا "عقيدة", فكيف نتنازع في ديننا على أمر ليس من دين محمد ﷺ؟، {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ}.

فالقول في نعت القرآن, من أصول الدين, ولا تؤخذ الأصول إلاّ من الأُصول, كتاباً وسنة, وما دونهما فزخرف من القول, لا أصل فيه!. {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.

ولا يختلف مؤمنان على وجوب التزام كلام الله وسنة نبيه ﷺ, بغير تبديل ولا تحريف, {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}.

فما سمّاه الله فليس لأحد -كائناً من كان- أن يبدّله, أو أن "يصطلح" غيره, وقد صحّ عن نبي الله ﷺ قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ», قُلْنَا لِمَنْ؟, قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

ومن النصيحة لكتاب الله أن نصونه من التحريف والعبث والغلط. ومن صريح الغلط والتحريف, ما نسمعه كل يوم ونقرأه في أكثر كتبنا نحن المسلمين, أنّ القرآن "معجزة", وأنه نزل "إعجازاً"!.

والحديث هنا, عن استعمالنا الخطأ لمصطلح "المعجزة", و"الإعجاز", وليس عن ما يتفق عليه أهل الملّة, من علوّ القرآن على العالمين, أن يأتوا بمثله, فلا يجادل في هذه من آمن بالله واليوم الآخر!.

أول نداء من الله للمؤمنين كان: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ.. وَقُولُواْ}!

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

فهذه آية شاهدة, على اعتبار محلّها وأمرها، أن "القول" و"الكلمة", ليست حلاً سائباً, ولو ظن صاحبها أنه محسن بريء النية, وأنه منها في سَعة!, فما دام العبد في حرم الدين, فليس له إلا السمع والطاعة واتباع أثر النبي ﷺ, وليس له أن يتكلّف من نفسه شيئاً, لم يتزل به الوحي, ولم يقل به النبي ﷺ!.

كذلك, تهدينا الآية إلى سلطان الله العليّ, أن الأمر كله لله, بما يُقال وما لا يُقال!, فـ"الكلمة" و"الاسم" في دين الله, حق له وحده تبارك مُلكه, ونحن بها عباد متّبعون, ومن جاء بشيء في دين الله, ليس من عند الله ولا رسوله, فهو متقوّل معتدٍ أثيم!.

ويكفيك أن تعلم أن الله جعل هذه الآية التي ينهى بها عن "القول" بغير تبيّن, تماماً بعد آية "السّحر" و"التفريق", من سورة البقرة, وفي ذلك ما فيه, عند أُولي الألباب والنُهى!.

ثم, –وانتبه وألقِ لها سمعك وقلبك–, فهذه الآية تهديك وترشدك, أن لا تقول بكل ما تسمع, ولا تُعيد كل ما يُقال, فقد تشتم الدين والنبي والكتاب, وتظن أنك مادحه!. إذ مضت عادة المحرّفين من اليهود بالطعن في الأنبياء والدين, فكانوا يلوون ألسنتهم بالكلمات عند رسول الله, يحسبها البريء خيراً, وهي طعن وسب ولعن {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ}, ثم سمعها منهم من جاورهم من المسلمين, فقالوا مثل قولهم, تبعاً ونقلاً بغير ما تبيُّن, وهم من هم في الفصاحة والحصافة, ولكن ضلّ من لم يتثبت, فنهاهم الله عنها, –ولو كانوا يقصدون بها خيراً وثناء–!. كذلك هي "المعجزة" و"العقيدة", تحسبها خيراً وثناءً, وهي طعن وليّ وتحريف!.

فانتبه, وتبيّن من كل كلمة عن الله أو عن نبيه أو عن كتابه, أو في شيء من دينه, وهذه نصيحة نبي الله إليك فاغتنمها: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ»!.

والعاقل من سبق عقلُه لسانَه, فلا تتلق القول بغير تبيان, وانظر وتثبّت!, فلو كان الكلام في عرض أحدنا, أو عن أبيه, لأمسك وتريّث, ونظر وتبيّن, فكيف وهو في دين الملك السيد الأعلى, تقدست أسماؤه!؟. ولأن تعض على جمرة حتى تطفأ, خير لك من أن تُعيد كلمة تؤذي بها الله ورسوله, ولو خلت أنك مادحه {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.

وحتى نتعّظ بمن سلف, وننتهي عمّا نُهوا عنه, من الذين أنزل الله فيهم قوله {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ}.

إذ جاءنا الخبر الصدق عن نبي الله محمد ﷺ في هؤلاء قوله: «قِيلَ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ, فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا حَبَّةٌ فِى شَعْرَةٍ»!.

فانظر شديد عقاب الله فيهم, وانظر خزي مآلهم, إذ بدّلوا وقالوا غير الذي قيل لهم!, فكيف بمن بدّل في "الأصول", وقال غير الذي قاله الله, وأمر به!؟.

فالآن انظر وتبيّن, إن كان قول الناس عن "المعجزة" و"العقيدة", مما أذن به ربّنا العظيم, وأنزله في كتابه, وعلّمها نبيه الأمين ﷺ؟!, فإن لم تجد لها إذناً, ولا بينة ولا برهاناً من كتابه تقدس اسمه, ولا من نبيه ﷺ, –كما سيتبين لك من طعنها وإفسادها– فإياّك إياّك, فلست لله بند, وليس أحد له بكفؤ!, فعليك بالآمَن الأثبت, تكن لك حجة في الدنيا والآخرة, {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.

فساد الحال والأعمال, من فساد الأقوال!, وتيهنا وتفرّقنا, من فساد أقوالنا!.

وقد يستكبر قوم قولنا هذا, ويرونه تكلّفاً مبالغاً فيه, فليتدبرّوا قول الله الحكيم {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}. فلن تنصلح أعمالنا, وتستقيم حالنا –بشهادة هذه الآية– إلا بسداد أقوالنا, هذه بتلك, شرطاً جزاءً!, ويشهد لها كذلك, ثابت قول نبي الله ﷺ:

«لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ, وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»!.
فاللسان الأَعوج، لا يُثمر إلّا إيماناً وعملاً أعوجاً؛ فتسديد القول، قبل كل عمل!.

فانتبه –حفظك الله– كيف ينبّهنا نبي الله ﷺ, أن استقامة الإيمان بعد استقامة اللسان!. وبشهادة قوله ﷺ, ممّا حدّث به سُفيان بن عبد الله الثقفي, قَال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه حَدِّثْنِى بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِه. قَالَ: «قُلْ رَبِّىَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَىَّ؟, فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»!.
فانتبه كيف جعل ﷺ "الاستقامة" بعد "القول"!. فليس بعد هذا الحديث دليل على خطر مكانة "القول" والكلمة عند الله ورسوله ﷺ, ألا ترى الإسلام يبدأ بـ"قول" الشهادة, ثم يتلوه ما يتلوه من العمل؟!.

فاعلم يقيناً, –ولو بدا لك غير ذلك–, أن أول ضياعنا وضلالنا وهواننا, كان من قول غير سديد, في أُصول الدين, أفسد علينا كثيراً ممّا نعلم وما لا نعلم, فلا تستخفنها!, ولك عبرة فيما بدّل أهل الكتاب. فالآية التي مرّت, شاهد صدق ثقيل, ولو كان هوى الناس خلافها!. فلا سديد ولا صواب, في قول من ترك "كلمة" الله, إلى كلام الناس, ورغب عنها, حتى يصير أمره إلى الزيغ والضلال!.

وانتبه –حفظك الله– إلى قوله المجيد {قَوْلاً سَدِيدًا}, فلا يكون القول "سديداً" حتى يسدّد قائله "الحق" تسديداً, لا ميْل فيه ولا انحراف!, وحتى ينطبق "الاسم" على "المسمّى" انطباقاً, كما يسدّد الرامي في رميّته ومقصده, فإن لم يُصب فقد طاش غير سديد!. كذلك هي "مصطلحات" الناس المغايرة لسديد القرآن, من "المعجزة" و"العقيدة" وغيرها, كلها طيش زائغ, لا سديد ولا مصيب, بل خلّف لنا ضلالاً وفساداً!, فخذ بسديد القرآن, ودع عنك زيغاً غير سديد!.

ما الخطأ في وصفنا القرآن بـ"المعجزة"؟.

بدايةً اعلم أخي أن أصل اعتراضنا على هذه الصفة "المُحْدَثة", أنها لم ترد في كتاب الله العظيم, ولا في سنة نبيه المعصوم ﷺ أبداً, ولا حتى على لسان واحد من أصحابه العدول, وهم أعلم أهل الدين, فقهاً ولساناً, كما يُقرّ ويشهد بذلك معنا, كل أهل الملّة!, وفي القرآن والسنة, خيرٌ منها وأصدق وأبلغ. فهي مُحدَثة مبتدعة من المتكلمين والفلاسفة, بعد عهود من وفاته ﷺ, ثم سرت دخيلة, في الكتب والألسنة, حتى تقبلها الناس وألفوها. والمؤمنون لا يأخذون دينهم –وما تعلّق بأُصول القرآن خاصّة– من أحد غير الله ورسوله, كائناً من كان, على ما اتفق عليه أهل الملّة جميعاً, أن الدين اكتمل وتمّ في حياة نبينا محمد ﷺ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَمَ دِينًا}, فما كان في حياة نبينا ﷺ فهو من دين الله, وما جاء بعده فهو من كلام الناس, فلا يُتخذ ديناً, ولا ينبغي له, ولو ملأ كل كتب المسلمين!, فإنما الدين كتاب الله, و حديث محمد ﷺ. والعلماء الصالحون ورثته, وليس لهم أن يُدخلوا على الدين, ما لم يرثوه عن محمد ﷺ.

ونُبرّئ –نحن "أهل القرآن"–, من هذه الزلّة المُحدثة, كل علمائنا العدول الصالحين, الذين حملوا أمانة الدين, نبرئهم من الظن أن يكون أحدهم علم ما في هذه اللفظة الدخيلة من الزلل والفساد, ثم أصر عليها وأبقاها, بل هم عند حسن ظننا فيهم من الصدق والأمانة.

ثم نربأ بالإخوة العلماء الحاضرين, أن يستمسكوا بما لم يقله نبينا محمد ﷺ في دين الله, فلا نحب لهم أن يصرفوا شيئاً من جهدهم في الدفاع عنها, أو تبريرها!, وقد علموا أن الله ونبيه وخلفاءه الأمناء, لم يستعملوا هذه المُحدثة الفاسدة, –وهي اليوم في أعلى الدين–, وهم أعلم بكتاب الله, ولسان العرب من كل من أتى بعدهم من العلماء!, فليس العلماء إلا طلبة علم عند الصحابة الأركان العدول. فمن استعملها بعدهم وقدّمها, فكأنما جعل نفسه بعلم النبي ﷺ, أو الصديق أو الفاروق أو ذي النورين!. فنحب لإخوتنا العلماء الخير والحزم في الحق, فلا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به محمد ﷺ. {فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}.

بهذا نتبرأ –نحن "أهل القرآن"– من ذلك المصطلح المحدث الفاسد, المسمّى "المعجزة" أو "الإعجاز", و"العقيدة" وأمثالها، ممّا سيأتي بإذن الله, ونستمسك ونكتفي بما قال إلهنا العظيم الذي وسع كل شيء علماً, وبما جاء به نبينا الخاتم المعصوم ﷺ, ونردّها مهما شفع لها الشفّاع, لقوله ﷺ: **"مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"!.**

واعلم من الآن أخي, أن أوّل ما نردّ به "المعجزة" و"العقيدة" وأمثالها, هو استغناؤنا عن كل ما قاله الناس في دين الله, و لم ينزله الله في كتابه, و لم يقله نبينا ﷺ.

فنثبت للقرآن ما أثبت الله له؛ من علوٍّ وهيمنة فوق الثقلين جميعاً, من غير غلوّ ولا تبديل ولا تعطيل, فلا نصفه بشيء من عندنا, كالذين يصفون القرآن بـ"المعجزة", ونستمسك ونلزم ما يقول ربنا ونبينا ﷺ, ألا ذلك الدين القيم. فالكلام عن القرآن، هو من الكلام على الله؛ لا ينبغي الخوض فيه بغير نصّ أو إذن من العليّ العظيم، ولا تنبغي الزيادة على ما انتهى إليه نبي الله محمد ﷺ وقال فيه!.

ثم اعلم أن من أنزل القرآن هو الله, وأن من سماه "القرآن" هو الله, ومن حمله إلينا هو رسوله محمد ﷺ, فليس أعلم بالقرآن ومراد القرآن من الله نفسه, ثم نبيه الأمين, أعلم الثقلين بكتاب ربه, وأحسنهم لساناً وبلاغاً, فالأصل إذاً أن تبقى الأسماء التي استعملها الله, وما يتبعها من النعت والتفصيل, على أصلها وحالها الذي أنزله الله, فكما سمّى الله الزكاة زكاة, وجعلها تطهيراً لصاحبها, وسمّى الصلاة صلاة, وجعلها نوراً, وسمّى البيت كعبة, وجعله أمناً, كذلك سمّى كتابه قرآنا وجعله "آية" و"برهاناً", و لم يسمّه "معجزة" ولا شيئاً منها!, فعلينا أن نلتزم كلمة الله وتسمياته, بغير تحريف ولا تبديل!. {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }, فنحن وعلماء المسلمين جميعاً, تَبَعٌ للنبي ﷺ, كلمة كلمة, ولسنا شركاء له, لا في العلم, ولا في القول, {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهَ}. وقوله ﷺ: «وَالَّذى نَفْسِى بِيَدِه لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِى»!. فإذا كان كليم الله موسى بهذا الالتزام, فكيف نكون نحن!؟.

وكما يتفق أهل الملّة جميعاً, أنه لا يؤخذ بقول من سمّى الزكاة بغير اسمها, أو نعَتَها بغير نعتها الذي أنزله الله, كمن سمى الربا "فائدة", والخمر "مشروب الروح"!, لأن تغيير الاسم من تغيير المسمّى!, فإذا صار الربا "فائدة" فقد تغير الاسم وتغير المسمّى, فيضلّ به من يضل!, ومن مثل هذا حذّر نبي الله ﷺ, فقال: "لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا". وقوله :ﷺ «لاَ تَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلاَتِكُمُ الْعِشَاءِ!, فَإِنَّهَا فِى كِتَابِ اللَّهِ الْعِشَاءُ»!.

فانظر كيف يوصي النبي ﷺ بالتبيّن وبالتزام "الاسم" الذي يسميه الله العليم الحكيم, ولا يتركه مشاعاً "للمصطلحين", ولا يأذن فيه بالتبديل. بل ويرى ﷺ, أنها "مغالبة", وأنها حدود وحقوق, لا ينبغي أن "نُغلَب" عليها!, وفي هذا إشارة بالغة, أن الأسماء حقّ لله, لا ينبغي مغالبتها, ولا تراخي فيها ولا تهوين!.

أرأيتم إن جاءنا من يبدّل اسم "الكعبة" إلى "المكعّبة", أكنّا مصدقيه؟, ولو أن الجذر واحد, والنعت في ظاهره مقبول!, فلن نقبل, على اعتبار أنها "كلمة" الله التي في كتابه, وأنه أعلم بما يريد, وأنه لا يجوز لمؤمن أن يحرّف أو يبدّل!, وعلى ما يعلمه كل مؤمن من المعتبرات الثابتات في الدين!, فلماذا قبلنا "المعجزة", وهي ما لا يوافق "كلمة" الله, لا حرفاً ولا مراداً؟.

وما ينطبق على ما أشرنا إليه, ينطبق على قولهم "معجزة" القرآن, أو "معجزة" النبي!, فالأصل أن نتوقف عند كلمة الله وتسمية النبي ﷺ, فنقول: القرآن "آية" الله للعالمين, {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ }, أو القرآن "بينة" {فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ}، أو نقول القرآن"برهان" {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}, أو نقول القرآن "ذكر" {وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}, أو القرآن "بصائر" {قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ}, أو القرآن "نور" {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا}.

أما أن نترك كلمات الله العظيم, ونستبدل بها كلمات بشر ينسَون ويخطئون ويجهلون, فهذا لعمرو الله, من تبديل النعمة, والزيغ والتحريف, {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

سؤال لازمٌ خطير في أصل "المعجزة"!.

نسأل, ويسأل كل مؤمن مستمسك بكتاب الله, ولا نقبل جواباً بغير بيّنة وبرهان وتوثيق!.

نسأل: من أول من "أدخل" هذه اللفظة المريبة, على دواوين المسلمين, ومن أين أتت؟.

لك أن توقن أخي, أنك لن تجد من يجيبك ببرهان وبينة وتوثيق, فهذه اللفظة –على فسادها وفساد مدلولها, كما سيأتي– لقيطة لا أصل لها ولا سند, بل هي دسيسة على عظيم الدين!, فهل يُعقل أن نترك كل كلمات الله المنيرة في القرآن, التي ينتهي سندها إلى لدن العرش, ونؤمن ونردّد –في أصل الدين– كلمة مظلمة, لا يُعلم لها صاحبٌ ولا سند ولا أصل, {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا}.

فهذا الوصف الرديء "المعجزة", هو عين ما يسميه القرآن "التكلّف" المذموم الذي نهى الله عنه المؤمنين.

واسمع كراهة نبي الله ﷺ, للتكلف وأهله المتعالين به, إذ يقول صاحبه الليثي:

"أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْه صُورَةٌ حَسَنَةٌ, لا أَدْري مَتَى رَأَيْتُ رَجُلا أَمْلأَ في عَيْنَيَّ منْهُ، حَتَّى قَرَأَ عَلَى رَسُول ﷺ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّه عَلَيْه السَّلامُ لاَ يَتَكَلَّمُ بكَلام إلا كَلَّفَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَأْتيَ بكَلام يَعْلُو كَلامَ رَسُولَ اللَّه عَلَيْه السَّلامُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ ﷺ: «اللَّهُ لا يُحبُّ هَذَا، وَضَرْبهُ، يَلْوُونَ أَلْسنَتَهُمْ للنَّاس لَيَّ الْبَقَّرَة لسَانَهَا في الْمَرْعَى، كَذَلكَ يَلْوي اللَّهُ أَلْسنَتَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ في جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقيَامَة»!.

فمن قَالَ فوق قول نبي الله ﷺ, فقد تكلّف ولوى ليّاً مذموماً, وليست "المعجزة" إلاَ من هذا اللّي المتكلّف القبيح!.

ثم نقول لإخواننا المستمسكين بـ"الإعجاز" الحريصين عليه, أتشهدون أن الله رضي لكم هذه "النحتة", وأذن لكم فيها؟, فإن شهدوا, فليأتوا بكتاب من عنده إن كانوا صادقين, {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ}.

كتب الله وأنبياؤه, جاءت للهداية والإصلاح والعلم والتزكية, لا "للتحدي", ولا "للتعجيز"!.{وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَبٍ فَصَّلْنَهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

وارجع وتذكر إن شئت, أول ما نزل من "النور والهدى" في الغار {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}, وتدبر الآيات كلمة كلمة, وانظر ما فيها من التربّب والود والإكرام, خلقك فأكرمك وعلمك، أثمّ يتحدّاك ويعجزك؟!. فمن ذا الذي سحرنا بـ"الإعجاز" و"التحدي"!؟. وهل نزل من غاره ﷺ, إلى بطن مكة صارخاً متحدياً معاجزاً ببلاغة القرآن, أم نزل داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً؟!.

ثم ارجع وتذكر, هل تعلم أحداً من أركان الصحابة, رجالاً أو نساءً, تحدّاه النبي ﷺ, ثم أعجزه ثم آمن؟.

بل يشهد كل أهل العلم أن الكفرة الجاحدين أنفسهم, ما استعملوا هذا المصطلح الفاسد!.

كيف آمنت خديجة؟, كيف آمن أبو بكر؟, كيف آمن عمر؟, كيف آمن عثمان؟, كيف آمن علي وخالد والعشرة المبشرون؟. سمع أبو بكر والآخرون دعوة النبي ﷺ, وعلموا ما هو عليه من الصدق والأمانة, وسمعوا كلام الله, وعلموا أن هذا الكلام, أجلّ وأعلى من كلام الناس. فآمنوا واتبعوا صالحهم!. ولم يدخلوا نزالاً ولا تحدياً ولا تعجيزاً!. فرجل لا يُعرف عليه الكذب, وكتاب منير, يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم, فلم لا يؤمنون؟. ولك أن ترجع لتعلم أن القرآن كله على هذا, وأن ليس فيه مكان للتحدي ولا للتعجيز!. فما آمن عليه أركان الصحابة الأولين, ثم حملوه للناس وبلّغوه, هو القاعدة الأصل, فلا ينبغي أن يُعرّف الناس دين الله, بغير ما عرفه به السابقون الأصول!.

ثم اسأل نفسك أنت المؤمن: أين محلّ القرآن عندك؟, هل تستفتحه منازلة وصراعاً, وتحدياً, فيغلبك وتعجز به؟, أم تفيء إليه لكل مباركة هادية منيرة, فتشفى به وتبصر وتستقيم!؟.

فالقول بـ"الإعجاز والتحدي" شاذّ غريب, لا يعرف له أصل كما تبيّن لك!.

وإن ارتاب إخواننا أهل "التحدي والإعجاز" بعد هذا, فليأتونا برجل واحد أسلم لأنه سمع النبي ﷺ, واقفاً يقول: "يا أيها الناس, إني أتحداكم بهذا الكتاب"؟. أو من يأتينا منهم ببينة, أن النبي ﷺ كان يشهد

معهم أسواق الشعر والنثر, فيسابقهم ويعارضهم بالقرآن؟, فلو كان متحدياً معاجزاً فذلك سوقه وميدانه!. وما يتناقله كثير من الدعاة عن من سمع القرآن, فمدحه ومدح عذوبته وحلاوته, فهو شاهد عليهم, أنّ هؤلاء أنفسهم ما قالوا إنه "أعجزهم" وإنه "معجز"!, بل هم يثنون على علوّه وسلطانه, دون أن يذكروا شيئاً عن "الإعجاز"!.

ولو كان ﷺ متحدياً معاجزاً، لما لبث في دعوة السرّ بضع سنين, فلا يجتمع "التحدي والإعجاز" مع الاستخفاء والإسرار!, أرأيتم رجلاً قام يتحدّى وهو خائف مستخف, يلوذ بسرّه وبسوره؟!.

وإنما بعث فيهم بشيراً ونذيراً, يذكّرهم ويُبصّرهم ويبين لهم, ولا نعلم "التحدي" والإعجاز" إلا تحريفاً وإحداثاً في الدين, لا يعلم أحدٌ من المسلمين من قذفها بينهم!.

"أُمّ الكتاب"، أول وأعظم سورة في القرآن, تبني الدين, وتهدم بنيان "التحدي والتعجيز"!.

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ * الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَطَ المُستَقِيمَ * صِرَطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}.

فانظر –هدانا الله وإياك– أنظر إلى ما فيها من الرحمة والعون والهداية والنعمة!, ثم اذكر أنها "أم الكتاب", وجوامع الحكمة كلها, وأصل أصول الملّة والرسالة والدين, فارجع البصر, هل ترى من تحدٍ أو تعجيز؟!.

ويسأل سائل:

إذاً, ماذا نسميه, إن لم يكن "إعجازاً"؟, أليس القرآن "معجزاً" للعالمين أن يأتوا بمثله؟.

إعلم أخي, حق اليقين, أن العالمين من الثقلين, لا يأتون, ولن يأتوا بسورة مثل القرآن, ولا يماري في هذا إلا من كفر بما أنزل على محمدﷺ !, ولكن كما أيقنا بهذه البينة من الله, فعلينا كذلك أن نسمّي ما يُبنى على هذه الحقيقة كما يسميه الله, أما أن نتناصف الدين مع الله, عليه الفعل, وعلينا التسمية, فهذا هو العدوان بعينه، عند من لا يرجون لله وقاراً!.

فإن لم يسمّ الله ولا نبيه ﷺ, علوّ القرآن وسلطانه, بـ"الإعجاز", فليس لأحد بعده أن يقول به, وإن قال, رُدَّ عليه قوله, ولا حرج!, فعلم الناس جميعاً, لا يعدل شيئاً بعلم نبي الله محمد ﷺ, فنلزم قول ربنا الحكيم, كيفما سمّاه وأراد له, أن جعله "آية وبينة وبرهاناً". فمن استمسك بهدي محمد ﷺ, فقد أبلغ الحجة, ومن استمسك بغيره, فلا حجة له!.

أما من سأل: ماذا نسمّيه إن لم يكن "إعجازاً"؟:

فنقول: نسمّيه كما سمّاه الذي أنزله، وكما سمّاه الذي نزل عليه ﷺ، إن كنّا مؤمنين!.

فاعلم أخي, أننا لسنا مطالبين بخلق الأسماء, لشيء سمّاه الله من قبل, وأنزل اسمه في كتابه, وأنطق به نبيه ﷺ!. فهذا الذي تسأل عن اسمه, ليس أبترَ لا أصل له, بل أصله في اللوح المحفوظ, إنما الأبتر "الإعجاز" الذي لا أصل له في كتاب ربنا ولا في سنة نبينا ﷺ, ولا حجة البتة في قول من استعملها بعد الله ورسوله

وأصحابه, ولو كانوا ألف ألف, فكل الذين جاؤا بعد النبي ﷺ وأصحابه, إنما هم طلبة علم عندهم, ليس عليهم غير الاتباع, فلا ينبغي لهم أن يُحدثوا أويبدّلوا, والدين النصيحة, فإن وجدنا عندهم ما ليس في أصولنا من الكتاب والسنة, رددناه ونصحنا لهم فيه, كما روي عن الفاروق عمر قوله: "يهدم الدين زلة العالِم"!.

فنسمي –هذا الذي تسأل عنه أخي– من علوّ القرآن, وهيمنته في كل أمر, في البلاغة والبيان, أو ما جاء فيه عن خلق السماء, أو خلق الأرض, فلكاً أو بحرًا, فضاءً أو خليقةً, طباً أو حساباً, أو ما صوّره الله لنا عن أنفسنا في أرحام أمهاتنا, وما علمنا وما لم نعلم, نسمي هذا كما سمّاه إلهنا العظيم الذي وسع كل شيء علماً, فنقول: "آية" الله, و"برهان" الله, و"بينة" الله, أنه هو الذي أنزله بعلمه وعلوه وسلطانه ليسلم له كل العالمين, {فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}, {لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا}!.

فمن نازعنا بعدها ليشارك الله حقه في "التسمية", ويأتي للمسلمين بما لم يقله نبيهم, –تحت أي ذريعة أو تبرير– هجرناه ونبذناه, وأوينا إلى السنة والكتاب فاتبعناه. {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ, فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}.

وانتبه أخي إلى علم "الأسماء", وحفظها, والتزامها, إذ قال ﷺ: «لي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ؛ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِى الَّذِى يَمْحُو اللَّهُ بِى الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِى يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِى، وَأَنَا الْعَاقِبُ».
أي ليس بعده نبي!. وانتبه, إلى أنّ ما نعتبره "وصفاً" هو عند نبي الله ﷺ "اسماً"، فعنه فخذ علمك ودينك"–؛ فالأسماء، وما كنا نظنه "وصفاً"، هي حقّ موقوف, على الله وعلى رسوله, فله هو أن "يسمّي" بما يشاء, وليس لأحد بعده أن "يصف" أو يختلق اسماً, ليس في التتريل!. والقول بـ"المعجزة" و"العقيدة", من هذا الاختلاق والتحريف, فلا ينبغي أن يُقحم في الدين!.

فوجب أن يبقى القرآن على ما سمّاه الله به, ولا يُلتفت إلى اصطلاحات أحد من الناس, إن كان فيها زللٌ وانحرافٌ, فلا عصمة لغير نبي!.
فأول ما نزل القرآن لأجله, وآخر ما نزل لأجله, كان هذا, {كِتَبٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}, أو هذا {يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}, أوْ ليس أحسن ولا أصدق ولا أدلّ مما افتتح الله به القرآن, إذ قال {ذَلِكَ الْكِتَبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}, وهذه الأخرى {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَت أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}. أو بالغة الحجة والنور هذه {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَنَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ}!.
فعلى "الهدى" نزل, وعليه ختم وتمّ, هدى وشفاء ورحمة وموعظة, فلعمرو الله العظيم, تقدست أسماؤه, من ذا الذي دسّ "العجز" و"الإعجاز" و"التعجيز" على هذا الهدى والرحمة والنور المبين؟. أنور و"عجْز", أرحمة و"إعجاز", أهدى و"تعجيز"؟, ما لهم كيف يحكمون؟.

فاعلم أخي –أنار الله بصيرتك- أنّ الله أنزل القرآن آية ورحمة وحياة للعالمين, لا "إعجازاً" ولا "تعجيزاً", وليخرج الناس من الظلمات إلى النور, تماماً كما أنزل الماء آية ورحمة وحياة {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـــهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَت لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}, فـــ"الإعجاز" والإحباط والتثبيط سواء,وتعالى الله أن يترل كتابه, أو يرسل رسوله لذلك!.

وانظر ما أدلَّ وأبلغ هاتين الآيتين المتتاليتين عن الرحمة والحياة بالقرآن, كما الرحمة والحياة بالماء, ســـواء بسواء,{وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}, ثم انظر كيف مثّل نـــبي الله ﷺ لما بُعث به, بشاهد على ما نقول, قال:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَت الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا»!. فسمِّ الشيء أخي كما سمّاه الله وسمّاه نبيك ﷺ, ولا تتبع من دونه أحداً؛ إذ ما يدريك أنـــه أصاب فيما تقوّله وأحدثه في دين الله؟!.

فإنما بُعث نبي الله ﷺ ليخلّصنا من العجز والضعف, ويملأنا بالحياة والقدرة, وهو الذي علّمنا أن لا نعجز وأن نستعيذ بالله من "العجز", بقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ, احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ». فإن كان الله قد أرسل نبيه بـــ"الإعجاز" –كما يزعمون-, فكيف يستوي أن يحضّنا النبي أن لا نعجز!؟. وكذلك قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِـــكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»!؟.

ثم عليك بهذه البيّنة الجليّة من هديه ﷺ, قال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِى لَيْلَـــةٍ»؟ . فَـــشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ, وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟, فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»!. فكيـــف يحضّنا ﷺ أن لا نعجز في القرآن, وهو "المعجز" الأكبر, كما يزعمون!؟. فوضح أن "الإعجـــاز" عيـــب شائن, لا تستقيم نسبته للكتاب المنير!.

لماذا ندعو إلى نبذ القول بـــ"المعجزة", وهجرها والتحذير منها!.

ذلك أن نسبة "العجز" إلى القرآن, -على الوجه الذي يصفه الذين جاؤوا بـــ"المعجزة"- هي من الـــسبّ والشتم والإيذاء, لعظيم الدين, فما جاء القرآن أبداً بـــ"العجز" لأحد –بشهادة كتـــاب الله والـــنبي ﷺ, وإنما هي صنيعة المجهول النكرة-, بل جاء بالحياة والتزكية والفضل والخير كله, والشيطان هو من يسعى بـــ "العجز" والتردّي والبوار, {الشَّيْطَنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء, وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

فحروف الكلمة, ولفظها, لفظ نكد مثبّط بليد, ما ذكره نبي الله ﷺ, إلا منفّراً, أو مستعيذاً كمـــا مـــرّ معك. حتى جاء أول ذكر للـــ"العَجز", في القرآن, في سياق منفّر {فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِـــي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَـــأُوَارِيَ سَـــوْءةَ أَخِـــي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدِمِينَ}, فهذه أسوأ ساعات ابن آدم, ساعة يُقعده "العجز"!.

فكيف, ولِمَ استُبدلت بكل حروف الفضل والخير والنور, حروف الهلكة والبوار!؟.

كذلك لن نضطر إلى الإصغاء لمن يجهد في شرحها وتزيينها, ليفرضها من بعد دسيسة في الدين, فذلك الذي يجهد لأجلها, عليه أن يعلم أنه يُحاجج بها, ويسوّقها أمام رجلين, أحدهما نبي الله محمد ﷺ, فهو مع البرءاء المؤمنين, بريء منها, لا يقولها!. فليتفضل وكيلها الحريص, فليشرحها وليبينها لنبي الله محمد ﷺ, ولأبي بكر ولعمر, وليذكّرهم بما فطن إليه وغفلوا عنه, وليعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون!.

فكما يتبين لك, من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ, فدلالة "المعجزة" و"العجز", دلالة فاسدة مقيتة مثبّطة محبطة, فكيف تقبلها أخي على كتاب ربك ونبيك ﷺ؟.

ويسأل سائل:

هل يمكن أن يُخطئ كل علماء المسلمين, ويغفلوا عن فساد "المعجزة"!؟.

نقول: وهل يمكن أن يخطئ كل الصحابة والتابعين, ويغفلوا عن أمر عظيم في الدين, ويعلمه أقوام بعدهم؟. ثمّ من قال إن أوّل الدين يؤخذ من المتأخرين؟, فالقائلون بها هم الذين جاؤوا بعد تمام الدين!.
فهل يُعقل أن يكون العلماء المتأخّرون, أعلم من نبي الله محمد ﷺ, ومن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ومائة ألف من الصحابة، وأضعافهم من التابعين!؟. فما قال بها إلاّ الطّلَبَة الملتحقون بغير إذن معلوم!.
فهي واحدة من اثنتين؛ إمّا أن النبي ﷺ لم يكن يعلم عن "الإعجاز" –وما صاحبوه من التحدي والخوارق– وغفل عنه، أو أنه يعلم "الإعجاز" وما يتعلّق به وما يعنيه، –مصطلحاً ودلالة ولساناً– ثم تركه ﷺ عن علم ببطلانه وعدم نفعه ولا صوابه فيما يعلم ﷺ عن القرآن وعن الله المجيد!؟.
ونعلم أنه لا يقول بالأولى مؤمن عاقل، فبقيت لنا ولهم الثانية، وانقطع بها الخلاف.
وما قرّرناه هنا عن "الإعجاز" نقرّره كذلك عن "العقيدة" وعن كل ما أُدخل تبديلاً في دين الله!.

فألف ألف عالم, لا يعدلون بنبي, ولا يعدل نبي بمحمد ﷺ, فمن ترك قول محمد ﷺ, وأخذ بقول شيخه وعالمه, فليس من الله في شيء!. فإيّاك أن تتبع زلة العالم, فتضل بها, وتُثقله وزرك, ولو رجعت عنها واستغفرت له, لكان خيراً لك وله!.
فاقرأ وتدبّر ما كان عليه أهل الرضوان الأولون, إذ حدّث مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ شَهِدْتُ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا – رضي الله عنهما– وَعُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَأَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا, –أي العمرة والحج– . فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ، أَهَلَّ بِهِمَا, لَبَّيْكَ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ, قَالَ: مَا كُنْتُ لأَدَعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ, لِقَوْلِ أَحَدٍ"!. وهذا "الأحد" الذي رفض علي قوله, هو عثمان ذو النورين, رضي الله عنهما, وليس أي عالم أو فقيه!. فإذا سبق القول الواضح المبين من رسول الله ﷺ, فلا قول ولا اجتهاد ولا رأي لأحد أبداً!.

مصطلح "المعجزة" و"العقيدة", "تخليط" في أصل الدين, وإحداث فيه, بلا ريب ولا خلاف, فما يقول مُحدثوها ومحدّثوها, بكلام نبي الله محمد ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ!».

فهذا دين محمد ﷺ, لا يردّه رادّ, فيكفي أنْ يقولوا لنا, إن كانت هذه المصطلحات من "المحدثات" أم لا؟.

فإن شهدوا بأنها "محدثات", فقد شهدوا عليها بـ"الابتداع" لزوماً, إذ هي في الدين المختوم المعلوم كما تبيّن!. فإن جادلوا بلزومها ونفعها, فقد شهدوا على النبي ﷺ أن لم يبلّغنا اللازم النافع!, بل يلزمهم ما لزم أبا بكر وعمر وعلماء النبوة الراشدين, أن ينتهوا عند ما انتهى إليه ولاة أمرنا الأمناء!.

وإن جادلوا بأنها من "البدع الحسنة", قلنا لهم: هذا باب لا ينغلق إذا انفتح!, فلكل فرقة "ميزانها المستحسن", ولكل "مبتدع" حسبة وميزان, فإما أن نفتحه فيدخل كل ذي ميزان ورأي وهوى, أو أن نغلقه, ونأوي إلى ركن شديد, ونكتفي بما وسع الصدّيق والفاروق والحواريين الأركان!.
كذلك, لنا ولكل مؤمن ناصح حريص, أن نطالب "المستحسنين" موازينهم, أن يأتونا بإقرار نبي الله ﷺ, محاسن "بدعتهم", وشهادته لهم عدل "ميزانهم", ورضاه بها!, فإن لم يفعلوا, ولن يفعلوا, فعليهم بالدين الأول, من خالص النبوة والكتاب, وأن يكفوا المؤمنين الفتنة والخلاف!. {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ}.
وصدق أحمد ﷺ, إذ تبلغ نبوّته ما نحن فيه: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ, تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ, وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ, فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

هل قول"المعجزة", مجرد انحراف لفظي, أم هو انحراف في المعنى والدلالة كذلك؟.

إعلم –حفظك الله– أن جذر هذه اللفظة ورد في كتاب الله ستاً وعشرين مرة, لم يستعمله الله في واحدة قط, كما يستعملها القائلون بـ"المعجزات"!, بل على الضدّ من ذلك تماماً, فقد جاء عمومها بياناً من الله يبطل فيه ظن الكافرين الجاهلين بأنهم يعجزون الله, أو أن الله يعجزه شيء, من مثل {وما كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}, و{وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ}, أو تهديداً وتعريضاً بالكافرين على معاجزتهم لرسل الله وآياته, من مثل {وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَتِنَا مُعَجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}.
فانظر أخي ما أسوأ أن تصف كتاب الله وأعمال أنبيائه, بما سبق وعاب به الكافرين!.

فبعد أن كان "التعجيز" و"المعاجزة" عيباً وفسقاً من أعمال أعداء الله, استعرناها نحن المؤمنين, فرحين مفاخرين بها, ووصمنا بها أحسن ما أنزل الله إلينا!. وقد علمنا أن الله ما أنزل لمن قال بـ"المعجزة" من سلطان, ولا قال بها نبيه ﷺ, ولا أصحابه الأركان, ولا من تابعهم على هداهم!.
فلا ينبغي العدول عن "كلمة" الله وتسمياته, إلى أي تسمية أو "مصطلح" آخر, ولا يفعل ذلك إلا من رغب عن كتاب الله واتبع هواه.
ويتأكّد انحراف القول بـ"المعجزة", إذا فقهنا دلالاتها جيداً, كما مرّ آنفاً, ثم انحرافها عقلاً عن غاية تنزيل الكتاب, -عدا عن أن نبي الله ﷺ لا يقولها!-, فلو قبلنا –جدلاً– أن القرآن "أعجز" العرب, فهذا يعني بالضرورة, أن العرب كانت تستطيع أن تأتي بمثله قبل أن تُطالَب به, وإلا لصار القرآن معجزاً للعاجزين!.
فقولنا: "أعجز" فلان فلاناً, إذا سلب قدرته, وصيّره عاجزاً بعد قدرة!, وفي الحالين نثبت للبشر القدرة على مثل القرآن, قبل أن يُنزله الله إليهم, ثم سُلبوا قدرتهم بعدها, بذلك الذي يسمونه "إعجاز"!, فوجب أن يكون العرب مستطيعين قبل تنزيل القرآن, حتى يصح قولنا: "أعجزهم" القرآن!, وإلا كيف يمكن أن

تعجز العاجز, أو تُفلس المفلس, أو تُعمي الأعمى!؟. ثم إذا قبلنا استطاعة العرب الإتيان بمثلـه قبـل أن يُطالبوا به, فقد أسقطنا عن القرآن علوّه وهيمنته, وهدمنا الدين!.

أما إن قلنا: إن القرآن "بيّن" للناس علوّه وهيمنته وتنزيله بعلم الله, فهذا صحيح, ويصبح القرآن –كما قلنا– "بينة" و"برهاناً" من الله, أنه نزل بعلمه هو, وأن ليس لمحمد ﷺ, ولا للثقلين جميعاً, شيء فيه, وأن لا "عجز" ولا "تعجيز", ولا شيء من هذا, سوى "البينات" و"البراهين" و"الآيات"!.

هل يعني هذا أنه ليس للنبي ﷺ, ولا لغيره من الأنبياء "معجزات"!؟.
وماذا نسمّي "انشقاق القمر", ونبع الماء من يده, و"عصا موسى", و"الناقة" إلى ثمود, و"إحياء الموتى", و"الإسراء", وغيرها ممّا اعتدناه من "المعجزات"!؟.
وما الفرق بين "الآية" و"المعجزة", أليستا سواءً؟!.

نسميها أخي كما سمّاها العليم الحكيم تقدّس اسمه, من غير تنطّع ولا تشدّق ولا تكلّف!. فـلا تـصدّق أخي أننا عثرنا عليها تائهة يتيمة, لا اسم لها ولا صاحب!. فهي عند الله, يوم خلق الـسموات والأرض, "آيات" و"بينات" و"براهين", و"بصائر", وهو تقدّس اسمه, أعظم وأعزّ وأعلى, من أن يقول قولاً, فيُعَقّب عليه, أو يُشارك فيه {وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ}, فلم يُنزل الله كتاباً نُتمّ نواقصه, ونملأ فراغـه, أو نقترح عليه, تعالى الصمد المتين!. ولا يُجادل في هذا إلا خصمٌ ألدّ, في قلبه مرض!.

وكما بدأنا من قبل, فإنه ليس لأحد أن يُحدث في دين الله, ولا أن يبدّل كلماته!, ومـا استرسـل بـه الإخوة العلماء من تقوّل "المعجزات", فمردود لا حقّ فيه, –غفر الله لهم, وأصلح أعمالهم–!, وكل مـا أتى به الأنبياء من "الآيات" و"البراهين", فهو حجر على الله, فعلاً وإنزالاً وتسمية, لا حق لأحد غـيره فيه, وليس لأحد من خلقه –ولو كان أعلم أهلَ الأرض– أن يحيد عنها, أو يلحد فيها, فيسمّيها بغـير اسمها!.

وقد بلغنا الصدق عن نبي الله ﷺ قوله:

«مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيـتُ وَحْيًـا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فكما ترى وتسمع, فهذه كلمات أعلم الثقلين بكتاب الله, وأبلغ الناس لساناً فصيحاً, فلم يزد أن سمّاها بـ"الآيات", بتسمية الله لها!. فكل ما أتى به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام, فهـو "آيـة" و"برهـان", وعلامات وأدلة, ليؤمن الناس بدعوة النبيين, أن لا إله إلا الله, ولم يُذكر "التحدي والتعجيـز" إلا بعـد انقضاء النبوة, وخلافة الراشدين, أثمّ تصير علينا ديناً نتبعه!؟.

فالذي شقّ القمر هو الله, وليس من وصفها بـ"المعجزة", – هذا إن عُرف النكرة الخفيّ–, فلله وحـده حق تسمية ما فعل, وهو تقدس اسمّه, من العلم والكبرياء, أن لا يسأل أحداً, ولا أن يسبقه بالقول أحـد {لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}. فقال {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُـوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ}. فسمّى الله "شق القمر" بـ"الآية", ليستدل من رآها بها, علامة علـى اقتـراب الساعة!, فـ"القمر" عند الله للزمن والحسبة, {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَـازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}, فشقّه نذير بالغ على الساعة!, وليست عبثاً ولا استعراضاً!.

كما بلغنا الصدق عن نبي الله ﷺ, أن قبل الساعة عشر" آيات" قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ, وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ. فكل واحدة من هذه "الآيات" آية, أي "علامة", كما سماها ﷺ ونسميها نحن من بعده كذلك, بـ"علامات الساعة", -قبل أن يؤثر فيها سحر "المعجزات-, ليعلم و"يستدل" من رآها على قرب الساعة!.

فـ"الآية" أخي, "علامة" دالّة مشيرة, على مراد مخصوص!, فإحياء الأرض بعد موتها, "آية" -أي علامة ودليل- من الله, أنه يحي الموتى {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. كما أن السحاب الثقال "آية" وعلامة, على الغيث!. فما علاقة "الآية" بـ"التعجيز" مما ترى!؟. فلن تصير "الآية" "معجزة", حتى يرجع اللبن في الضرع!.

ولا يصحّ البتّة قول من قال: إن "انشقاق القمر" هو "معجزة حسيّة" أعجزت من رأوها وحضروها, فهذا وصفهم المركّب المختلط, الذي ما نزل به كتاب, ولا نطق به نبي!.

ويكفي لرد هذه الأباطيل, أن تعلم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي, وعلماء الصحابة, لا يقولون بهذا, فوجب أن يكون المتقوّل بـ"المعجزة" -إن صدّقناه- أعلم بكتاب الله, ولسان العرب, ومراد التنزيل, من الصحابة الأركان!, فما بالهم, تارة طلبة علم عند نبي الله وأصحابه ﷺ, وتارة أساتذة يسبقونهم بالعلم!؟.

ثم يَبطل ظنهم, إذا تدبروا الآيتين جيداً, فانشقاق القمر بصريح القرآن, علامة ونذير على اقتراب الساعة, -كما مرّ آنفاً-, بدليل ما تلاها من الآيات بقوله تقدس اسمه {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ}, فمن أين أتوا بالتعجيز وعلله؟, فإنما الله يهدي ويبيّن ويعلّم, ولا يعاجز ولا يُنازل!.

وفي موقعنا على الشبكة مزيد بيان في "آية" انشقاق القمر!.

و"آية" نبع الماء من يده, تبطل من نفسها زعم "المستعجزين" الساعين وراء الخارق التهويل, تاركين وراءهم حكمة بالغة, وآية بينة, مكتفين بالزخرف المصنوع من وصفهم!, فما كان الله ولا رسوله لاعبين, ولا متلهّين, ولا مستعرضين. فتنتقض كل عرى "المعجزة" في "آية" الماء النابع, بحسب أن تعلم أنها جرت مباركة على أعين "المؤمنين", لأجل وضوئهم وسقياهم ونفعهم, وليس أمام كافر أو جاحد, حتى ولو رآها الكافر, فليس هو المعني بها!, فإن كانت "معجزة", وكانت بحضور المؤمنين, فمن "المعجّز" بها؟, ومن الخصم المتحدى بها؟, أبو بكر, أم عمر أم عثمان, أم المصلّون المتطهرون!؟. وهذا حديث صدق شاهد: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ، فَالْتُمِسَ الْوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِى ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ. فها هي "الآية" طاهرة منيرة, على مرأى المتطهرين المؤمنين, فمن العاجز المعجَّز!؟. كذلك, أجرى ﷺ أمثالها في وقائع أخر, ولم يُروَ أنها جرت لأجل دعوة الكافرين!.

أما إن بقينا على ديننا الأول بغير تحريف ولا تبديل, وبقيت هي "آية", لعلمنا أثرها وسكينتها في قلوب المؤمنين, هداية وتثبيتاً!, فأنزل نفسك بين أصحابه ﷺ الحاضرين "آيتها", ثم قل لنا: بم خرجْتَ, وكيف خرجْتَ؟!. "عاجزاً" مغلوباً, أم مؤمناً متبيناً, زاده الله هدى!؟. فمحمد ﷺ أصدق وأبلغ, وهذه عنده

"آية" تزيد المؤمنين إيماناً مع إيمانهم, أنه رسول الله حقاً, إذ لا يملك الماء إلا الله, ولا يخلقه ولا يجريه إلا هو, تقدس اسمه, فإذا أجراه عبد تكلم باسم الله, علمنا –استدلالاً بهذه الآية العلامة– أنه يقول ويفعل, بأمر وإذن من الله الذي خلق الخلق, وأنزل الماء!. "فالآية" أخي, لتعلم وتعقل وتهتدي {كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}, فهل وجدت في هذه الآيات تعجيزاً, أو"لعلكم تعجزون"!؟.

وحتى لو جرت هذه "الآية" أمام الكافرين, فستبقى على دلالتها الأولى, من أن فاعلها "الرسول" مُمدّ مؤيّد, من "الخالق" المالك سَببَ الحياة!. فإذا رآها "من لا يؤمن" علم –استدلالاً مما تعنيه "الآية"– صدق هذا "الرسول", فيما يقول ويدعو إليه!.

وكما ترى, لا محلّ البتة للتحدي ولا للتعجيز, وإن وُجد, ففي خيال صاحبه وعلى لسانه, ولا يدين المؤمنون بلسان الخيال, بل بما قاله بارئ "الآيات"!, فهي "آية" و"بينة" و"برهان", ولو خالفها أهل الأرض جميعاً, {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ}.

وينطبق هذا على "الآية, البينة, البرهان", -كما يسميها الأعلم الأحكم الأعز-, التي أرسل بها موسى إلى فرعون, ليعلم الظالم فرعون, أنه ليس برب, وأن الأرض والسماء, للأحد العظيم, إذ لو كان -كما أشيع ضلالاً-, أنها "الخارقة الكبرى", لكان نتق الجبل ورفعه فوق العبيد المستضعفين من بني إسرائيل, أكبر وأخرق من يد تخرج بيضاء للناظرين, ولكان المستكبر المتألّه, أولى بالأكبر منهما!.

فإذا علمت أن الله شهد على فرعون, إدراكه ويقينه لما في "الآية" من الدلالة والرسالة, بقوله تقدس اسمه {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}, فلك أن تنظر في ردّ فرعون ساعة رآى "البرهان البينة", قال الظالم فرعون {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ}.

فَسَلْ نفسك: بم استدل فرعون من"العصا والثعبان واليد البيضاء", على "رسالة" الله أنه "مُخرجه" من الأرض؟!, فعلم "الرسالة" التي وراء "الآية", أنّ الأرض لله, ربّها الأعظم, فإما أن يخضع فرعون عبداً كسائر العبيد, وإما أن يخرج مدحوراً مثبوراً!, فصدّق الله ظن الخبيث وحسبته, أنها رسالة "إخراج" من أرض الملك الحق, فقال رب العرش {فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}!.

فكما ترى, فهي "آية" تدل وتهدي وتبصّر, لا "معجزة" تخرق, ولا "خارقة" تُعجز, إلا عند من ضلت حسبته!. فما كان الله ليلهو عبثاً بـ"الخوارق", بغير حكمة ولا دالّة ولا معنى!. {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}.

وفي موقعنا على الشبكة تفصيل وبيان لـ"الآية الكبرى" من العصا والثعبان, وعن موسى وفرعون!.

وحسبك أن تعلم أن لا أصل البتّة, لما لابس الآيات من التفاسير والإسرائيليات, عن "الثعبان واليد"!. فكل ما عدا كلمات القرآن وحروفه, وما ثبت من حديث نبي الله ﷺ, مما جاء في تفسيرها بغير بيّنات, فكذب مفترى خبيث, وتهويل وأباطيل, لا تعدو أن تكون من نفث الشيطان ونفخه, فانتبه!.

وعن "ناقة الله" إلى ثمود, وعن روح الله عيسى ابن مريم, و"بيناته" وإحياء الموتى, كذلك في موقعنا على الشبكة, تفصيل وبيان وبرهان, أن "التعجيز, والمعجزات", مما لم يسمعه أحد من نبي الله ﷺ, ولم يقله أكابر الصحابة العلماء, فلا يغرنّك كثرة القائلين بها!.

ولا نقول "معجزة الإسراء" كذلك!, فللذي أسرى حق تسمية أفعاله, -تعالى اسمه المتكبر-, فمن رآها "تعجيزاً", فقد خالف ربّنا وخالف تنزيله, فلا يُتابع ولا يصدّق, ونكتفي ونصدّق ربنا الذي وسع كل شيء علماً!.

ولل"إسراء" توجيهه الخاص, فوجب التدبر والانتباه!.

ذلك أن "الإسراء" -خلافاً عن سائر الآيات-, "آية" لمن أُسري به, وهو نبي الله ﷺ, بشاهد قوله القدوس: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَتِنَا}, فالمقصود ابتداء بهذه "الآية", هو نبي الله ﷺ, ليرى ما كُتب له أن يرى, ويعلم ما كُتب له أن يعلم, ليُثبّت الله بها فؤاده بصدق ما يرى, {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}, {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}, فهو الذي "رأى", وهو الذي أُريد له أن يرى, ثم يتلو علينا ما أُمر أن يتلو, فنصدقه ونؤمن بكل ما جاء به!, فهو بها نبي, ثم يتلقى عنه "صدّيق", صدّق و لم ير, ثم المصدّقون من المؤمنين, تلاوة وتتالياً!. فلو صدقوا بأن "الآيات" لـ"التعجيز"، لكان الله يُعاجز بها محمداً ﷺ!.

فإن أنت صدّقت و لم ترها, ثم "بنيت" عليها إيماناً وديناً, فأنت بها صدّيق, ابتلى اللهُ إيمانك فثبتّ وأفلحت, {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ}.

وما يتلى على منابر المسلمين, كل عام عن "معجزة الإسراء", إنما هو من التشدق المذموم, الذي دخل على المؤمنين بعد عهد نبيهم المعصوم ﷺ!, ولئن كانوا يشهدون أن الصحابة السابقين الأولين, كانوا أحمل للدين, وأشد حفظاً, وأقوم علماً ولساناً, فهذا يومها وابتلاؤها!, فمن انتهى اليوم, إلى ما انتهوا إليه, فهو ممن قال وفعل, وصدّق بالحسنى. ومن لجّ في غيّها, وأقام عليها, فممن يقول ولا يفعل, ويكيل بكيلين, ويأمر بالبر وينسى نفسه!.

ولئن خُيّرنا في "الإسراء" بين فهم "الصدّيق" أبي بكر وما مات عليه, وبين "التشديق" الذي نسمعه اليوم, لما ترددنا بالاستناد إلى أُولي العلم المقربين السابقين, ثم لعجبنا إن وجد "المستعجّزون" من يختارهم على الصالح الصدّيق, والمحدَّث الفاروق!.

فاجعل لك ميزاناً وقسطاساً مستقيماً, أنّ كل ما أشيع عن "الخوارق" والتهاويل, إنما هو من "نحت" الناس وصنعهم, وليس فيه من كتاب الله, ولا حديث نبيه, حرف ولا كلمة!, وأسوأ القول ما كان بغير بيّنة, على الله وعلى كتابه, وعلى ورسله, فاحذرهم أن يفتنوك!. فحيثما وجدت ما يسمونه "خارقة", فاعلم أنها "آية", وراءها علم وهدى ونور!, فإن اتبعت نورها وهداها بلغت وحللت آمناً مصيباً, وتعلّمت وربوت وزكوت!. فـ"الآية" كالشمس والقمر والنجوم, تعرف بها الحوْل والليل والنهار, وتوردك خيراً وفضلاً {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَهُ تَفْصِيلاً}، {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.
و"الخارقة المعجزة" عجز وعمى, وصرف عن الحق وتضليل.

ولا يقول بـ"المعجزة" -بعد ما ملأ الله به كتابه من "الآيات"-, إلا متقوّل متكلّف, يلوي للناس بها لسانه, ولا حاجة به عند من استمسك بكتاب الله!.

فهل يعني هذا أن ليس في القرآن "إعجاز" علمي, ولا "إعجاز" بياني أو بلاغي, أو ليس فيه "إعجاز" تشريعي, أو ما نقرأه ونسمعه من "المصطلحات" الجديدة!؟.

كما سبق وبيّنا, فالقرآن كلام الله الذي لا يستطيع أحد من خلقه أن يأتي بمثله, ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا, فكله موقوف على الله الملك العظيم تقدس اسمه, سواء تكلم في "علوم الكون" أو "التشريع" أو في "الغيب" ماضياً ومقبلاً, أو في "الحساب والعدد", وبما نعلم وما لا نعلم, فلا, ولن يرقى أحد أن يأتي من هذا بشيء, فهذه أبلج من شمس, ولكن الخطأ والفساد في "الوصف" والتسمية!, فالصواب أن تبقى كلمات القرآن وتسمياته كما هي في اللوح المحفوظ, وللناس السعة أن يقولوا فيما عدا ما قال به الله وكتب, فإن تكلم إلهنا السّيد الأعلى, انقطع الكلام ووجب التبع والسمع والطاعة!. ثم إذا وجدنا ما يسمّى بـ"الإشارة العلمية", مثلاً, فلكاً أو بحراً أو طباً, فأصلها في كتاب الله أنها "آية" -أو أي كلمة من الكلمات التي اختارها العليم الحكيم تقدّس اسمه- ليُعلم أن هذا القرآن نزل بعلم الذي أحاط بكل شيء علماً تبارك وتقدّس {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَات وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}. ولا حاجة أبداً, لقول "المعجزة", باستغناء النبوة والكتاب عنها, فهي ترف متكلّف, وجرسها ولحنها وجذرها سالب نكد مقيت, لا يأتي بخير كما أثبتنا من قبل, فـ"الآية" صدق وطيّب ودين, و"المعجزة" مُحدث خبيث {وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَت لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}.

فإذا قرأ غير المؤمن "آية" فيها "إشارة علمية", عن شيء لم يُعرف إلا حديثاً, فهذا للقارئ "دالة" و"علامة" و"بينة" أن لا يد لبشر في هذا "الكتاب", على اعتبار ما ثبت مما كان عليه نبي الله ﷺ من قلّة الآلة, وما حضر له من بداءة عصره, فإذا استزاد هذا القارئ من هذه "الأدلة" وشواهدها صارت عنده "بينة", أن هذا الكتاب من عند الذي خلق العالمين, ثم تصير هذه "الأدلة" والبراهين عنده, نوراً وهدى يحمله إلى صراط مستقيم {قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّه نُورٌ وَكِتَبٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي به اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَنَهُ سُبُلَ السَّلَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَت إِلَى النُّورِ بِإِذْنِه وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَط مُّسْتَقِيم}, فيمتلئ بالحياة والبصيرة والنور {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِه فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَت لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا}.

أما أن نُصرّ -تنكباً وعناداً- أنّ هذه "الآيات", هي لـ"إعجاز" الخلق, فهذا سبّ وسلب لكل خيّرات القرآن ورحمته ونوره!.

ثم اسأل كل من تدبر القرآن من غير المسلمين فأسلم, سله: هل شعوره بالنور والهدى والحق والسكينة, وبرد الإيمان, هو ما حمله على الإسلام, أم شعوره بـ"العجز" والهزيمة والانكسار!؟.

ثم اعلم يقيناً, أن الإنسان لا يبحث عمّا يعجزه ويكسره ويقهره, بل يبحث عمّن يحمله ويرحمه ويزيده وينفعه, لا جرم ذلك هو القرآن, كتاب الله المنير!. {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَت بَيِّنَت لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءوفٌ رَّحِيمٌ}.

وما ينطبق على "الآيات" و"الأدلة العلمية", ينطبق على غيرها من "آيات" البلاغة والبيـان, والتـشريع والحساب والعدد, فكلها آيات" "بينات" "بصائر", أن هذا القرآن من عند الله, ليسلم الناس له {فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}.
فدعك من تخليط "المعجزة", فإنها وزرٌ وزور, ولا حجة لك بها عنـد الله, و لم تأتـك مـن نبيـك ﷺ وأصحابه, فلا تحملها, ولا تأس عليها, وقد أبدلك الله بها نوراً وكلمة طيبة أصلها ثابـت وفرعهـا في السماء!.

فإن قال قائل:

إنما قصَدنا بـ"المعجزة" أن الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثلها, ولخرقها العادة, ولم نقصد الإساءة!.

فنقول: أمّا أنّ الخلق لا يأتون بمثله, فهذا عين الحق, وعلم اليقين الذي لا يماري فيه مؤمن, ويـشهد لـه قول الله {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}, فيبقى السؤال الفاصل بيننا, هل فهمها نبي الله ﷺ وأصحابه, كما فهمتموها أنتم, "تحدياً وتعجيزاً"؟, فإن قلتم: نعم, قلنا: هاتوا كتابكم وبرهانكم, وإن قلتم: لا, فقد انقطع الخـلاف, ولـيس أهدى مما انتهى إليه نبي الله ﷺ وأصحابه!.
ثم إن آية سورة الإسراء التي مرّت, آية إعلام عن أول العلم, وأوجب الفهم, أنّ الخلق لا يقدرون علـى شيء من أمر الله, لا من كلامه تقدّس اسمه, ولا من سلطانه العزيز سبحانه, ويشهد لهذا قول الله {يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}, فإن أنت تلوتها على فطرة صغيرك, فلن يقع في فؤاده أكثر من "العلم" ببالغ قدرة الله, وفائق ضعفنا بـين يديه, دونما خاطر لمنازلات التحدي و التعجيز!. تماماً كأن لو وقف معلّمٌ فقال: إن البـشر جميعـاً, لا يقدرون على خلق بيضة طائر, عدا عن خلق طائر!. فهذا ما نسميه جميعاً "حقيقـة", وهـذا "تعلـيم" وإعلام, لا تحدٍ ولا إعجاز، فانتبه!.

كذلك كانت الآية التي في سورة الرحمن {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُـذُوا مِـنْ أَقْطَـارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَنٍ}, كانت ممّا شاع في الناس حملها علـى "التحـدي" وليست كذلك!, بل هي كسائر أمثالها في القرآن, "إعلام" و"تحقيق" بعلوّ الرب وسـلطانه, إلى خلقـه الضعفاء!.
فبهذه الآية وأمثالها يصحّح الله ظنّ عباده وجهلهم فيه, واغترارهم بما آتاهم, ويضرب لهم الأمثال هداية وتبياناً, لا "تحدياً" ولا "تعجيزاً" ولاشيئاً من هذا, بل هي من العلم المبرهن بالشواهد!.

وإن ارتاب أحدٌ بما نقول, فليأتنا بشواهد "التحدي" و"الإعجاز" من "أفهـام" الـصحابة العـدول العلماء!, فلا شكّ في سبقهم وعلمهم بالقرآن, فلو كانت هذه الآيات عندهم "تحدياً" كما يُـشاع، لبلغنا ذلك عنهم!, أمّا ولم يبلغنا، وهم الأعلم الأقرب للنبوة والكتاب، علمنا أنها "نحتة" مختلقة لا خير فيها!, والمصرّ عليها مصرّ على غلبته وسبقه لأصحاب النبي ﷺ, وفضله بالعلم عليهم, عافانا الله!.

وأما أنّ البشر لن يأتوا بمثله, -وهو ما حرّفه الفلاسفة إلى الخوارق والمعجزات-, فهذا عين مراد الله له أن يكون "برهاناً" و"بينة" و"آية", يعلم من أدركها, أن الثقلين لا يأتون بمثلها, "فتُعلمه" و"تدله" و"يعرف" بها و"تبيّن" له من نفسها, أنها من عند الله, فليُطِع بما أمَر وأرسل, كما قال موسى لفرعون {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ}, وقوله تقدّس اسمه {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.

فمن كان ناعتاً كتاب الله, فلا يزد على ما نزل في القرآن عن القرآن, فالذي أنزله أعلم به وبتأويله, ولن يأتي أحد بأحسن من كلام الله كما تبين. فمن جاوز تسمية الله للقرآن بـ"الآية" و"البينة" و"البرهان", فقوله وعدمه سواء, بل هو للضلال أقرب, فقول الله حق لا محالة, وما دونه ضلال {فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}, فوجب الخضوع والانتهاء إلى قول الله الحق المبين, ونبذ ما سواه, ولو تمالأ عليه أهل الأرض, {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}. فكيف يكون نبي الله ﷺ بهذا الوقف وهذا الخضوع للوحي, ونتخلّق نحن اصطلاحات وأوصافاً ما أنزل الله بها من سلطان؟.

أترانا عثرنا على كتاب لا صاحب له, حتى نستهم له على اسم مختلق, ووصف منحوت, وفلسفة مترفة؟. أم جاءنا الكتاب مسمىً سالماً, معلوماً مفصلاً, لا عوج فيه, بيمين نبي وروحٍ أمين!؟.

القرآن "برهان" الله المبين, أما مصطلح "الإعجاز" فباطل بُنيَ على باطل!.

إعلم أخي, أن "الإعجاز" لا يتعدى أن يكون من قول المتكلمين والفلاسفة, -على أحسن تقدير-, وأنه ليس سوى تصوّر محرّف لحكمة تنزيل القرآن المنير, بدأه أصحابه من حسبة فاسدة, وتأويل باطل, لخمس آيات في مجمل القرآن, ثم شاع عند كثير من الدارسين والدعاة, من غير تثبت, على رأسها الآية التي في البقرة {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (23) سورة البقرة, ثم {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} (88) سورة الإسراء, وثلاث آيات أخر على التوالي {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (38) سورة يونس, {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (13) سورة هود, {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ} (34) سورة الطور.

أين الخطأ في تأويلهم لهذه الآيات, وما الباطل الذي بنوْا عليه؟.

أما الخطأ والبطلان الذي بنوْا عليه تأويلهم, فهو قولهم إن الله "تحدى" العرب -والعالمين من بعدهم- أن يأتوا بمثل القرآن!, وهذا هو مكمن الزلل والفساد, فمن أين أتوا بـ"التحدي", وأين وجدوه في كتاب الله أو حديث النبي ﷺ؟.

سيقولون: هكذا فهمنا الآيات الخمس السالفة!.

فهاهم يُقرّون, أن الله والنبي ﷺ لم "يُصرّح بلفظ "التحدي", ولا في لفظة واحدة, فهو إذن "فهمهم" المجرد, للآيات التي مرّت –بغير سند للكتاب أو الحديث, أو أحد من أركان الصحابة يوافقهم فيه!–, ومن يشهد لهم بصحته, ممن تلقوْا الوحي والتنزيل من فمه ﷺ, أبو بكر أم عمر أم عثمان أم علي أم ابن مسعود أم ابن عباس؟, وما نقول فيمن خالف صريح القرآن والنبوة وهؤلاء الأركان, الذين ثبت خلوّ "التحدي" من كل ما بلغنا عنهم؟.

فالقائلون بالتحدّي، هم الذين يعلّمون الناس أنّ تأويل القرآن يؤخذ من النبي ﷺ, أو من أصحابه, فهلاّ أتونا بتأويل "التحدي" من أحد من هؤلاء!؟.

وهل تعلم أخي أن ليس أحد من أهل العلم يشهد أن أحداً من هؤلاء قال بـ"التحدي"!؟.

أما كان خيراً لنا وأقوم, لو وقفنا عند ما بلغنا عن نبي الله ﷺ وأصحابه الأركان, بدلاً من التقوّل والتكلّف في عظيم الدين والكتاب؟.

فالاستدلال بالآية (23) من سورة البقرة, وآية "يونس" و"هود" و"الطور", للقول بـ"التحدي", خطأ وزلة جليّة!, والقول بـ"التحدي" قول غريب فاسد, ليس في القرآن ولا في السنة, ولم يُنقل عن أحد من أصحاب محمد ﷺ, وهم أعلم أهل الملّة والدين, فكيف فاقم, وهو من أصول الدين؟, وكيف جهلوه وعلمه من تلقى الدين عنهم تلقياً, واستنسخه استنساخاً, وهو الغاية التي عليها نزل القرآن –كما يدّعي القائلون بـ"التحدي"–؟, بل "التحدي" أخو "المعجزة", كلاهما فرية مُحدَثة, وهاكم بيانها.

فالمشترك القاسم بين هذه الآيات الأربع –بعدما وضّحنا الفهم للآية التي في سورة الإسراء–، بما لا يدع خُلّة للشك, هو ما تختتم به الآيات الأربع, وهو قول الله {إِنْ كُنْتُمْ صَدِقِينَ}, فلو كان الأمر "للتحدي" –كما يظنون–, وكانت علّة الآيات الأربع في "قدرتهم" أو "عدم قدرتهم" على مثل القرآن, لوجب أن تختتم الآيات بـ"إن كنتم قادرين", بدل "إن كنتم صادقين"!.

ثم إن ختامها بـ {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}, يَدلُّ على أن العلّة كلها, هي في "كذب" الكافرين, ودعواهم الباطلة, أن النبي ﷺ افترى القرآن من نفسه!, وانتبه إلى وضوح ما أردناه من هذه الآية {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ، قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} (14) سورة هود, فبعد قول الله {إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ}, جاءت مباشرة {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ}, فلم يقل الله العليم الحكيم "فإن عجزوا" –وهو أعلم بما يريد–, أو "فإن لم يستطيعوا", وفي هذا بينة وشاهد لنا, أن الأمر ليس استعراض قدرات, من يقدر ومن لا يقدر, بل الأمر كله, ردٌّ لفئة شاذة بكفرها وارتيابها, "زعمت" وادّعت أن النبي ﷺ, هو من افترى القرآن, فجاءت هذه الآيات "المعدودات" لتبطل شكّ فئة "معدودة" شاذة, فطالبتهم الآيات ببينة على صدق دعواهم, فالبينة على من ادّعى!.

وثمّة مشترك آخر بين الآيات الأربع التي يستدلون بها، يبطل كلّ دعوى القائلين بالغاية في التحدّي والتعجيز، وهي أن الآيات الأربع كلها، جاءت معلّقة مشروطة على أن الكافرين هم الذين ادّعوا على النبي ﷺ أنه افترى القرآن من عنده، فجاءت الآيات ردّاً وجواباً، ولم تأت الآيات أبداً من السماء لتبدأهم

التحدي والمعاجزة!، فلو لم يفتروا فريتهم على النبي ﷺ، لما لزم الردّ ولا لزم الجواب، ولبقي القرآن على غايته الأولى في الهداية والرحمة والبصيرة، فانتبه!.
ثم اذكر كيف ضرب الله مثلاً "بعوضة"، تباعاً بعد آية ارتياب الجاحدين!؛ فكأن الآية من ذاتها تقول، إن ما كان من الله فلا طاقة لأحد به، سواءً كان كلامه المجيد، أم خلقاً من خلقه، صغر أم كبر، تعالى اسمه العليّ القدير، عن الشبيه والمثيل!.

ثم نقول لمن كان يرى في قول الله {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ}, شاهداً ودليلاً على "التحدي", فليقل لنا كيف يفهم هذه الآية ويأوّلها {وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ}؟!، هل هي تحدٍ كذلك, أو خارقة أو تعجيز؟, فالآيتان على محمل واحد من "الإعلام" والتحقيق كما مرّ معك وتبيّن.

واقرأ هذه الآية لمزيد بيان {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}, وانتبه إلى قول الله {فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}, فهل في طلب الله لهم أن "يدعو" شركاءهم الأصنام, دعوة للتحدي, لاختبار قدراهم في "النداء والاستدعاء", أم هي حجة واستدلال, ليعلموا بها باطل ما هم فيه, وصدق دعوة الله إلى ما يدعوهم إليه؟. فإن هم دعوْ أصنامهم, فلم يستجيبوا لهم, "تبيّنت" لهم البينة, أن لا إله إلا الله, بعيداً عن كل معاني "المنازلة" والتحدي والتعجيز, والآيات الأربع مثل هذه الآية, سواء بسواء, فانتبه!.
بعد هذا, يبقى تنزيل القرآن على أصله الذي أشرنا إليه من قبل, ليكون هدى ورحمة ونوراً, لا تحد ولا تعجيز, ولا شيء من هذا, {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}.

في القرآن آيات كثيرة تبطل دعوى القائلين بـ"التحدي", وتبطل تأويلهم واستدلالهم بالآيات الأربع, والآية (88) من الإسراء!.

أولئك الذين ذهبوا إلى القول بالتحدي ثم بالتعجيز –وجلّهم ممن نحسن الظن بدينهم–, جانبوا حقاً جلياً, ذكّرت به الآيات في السور, إذ توقف وتحصر مهمة الرسول ﷺ, في "البلاغ" في عشر آيات, يُذكّر الله بها, كلما "عاجز" جاحد, {فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَٰبَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}, فانظر جلاء الآية في حصر دعوة النبي ﷺ في الهدى والبلاغ, وهذه الآية, هي العموم الأساس في رسالة النبي ﷺ ورسالة القرآن, فلا ذكر البتّة "للتحدي والتعجيز"!.

وثمّة آياتٌ أُخر تصرف النبي ﷺ عن الانشغال بتكذيبهم وجحودهم, كقول الله، {وَقُرْآناً فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلاً * قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً}, وقول الله العظيم {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}, وقول الله العظيم {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ}، {وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا

أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ}. وقول الله العظيم {إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}. فهذه الآيات تعارض وتنافي قول من علّل القرآن بـ"التحدي", وأوقفه على "التعجيز"!. إذ لا يتفق التحدي مع الاكتفاء بالبلاغ!, فلا يكتفي ببلاغك من جاءك يتحداك!, بل لا بد من المنازلة إلى انتهائها, ومصيرها إلى أحد الخصمين!.

"التحدي" في حق الله باطل, لا يصحّ ديناً ولا عقلاً!.

بداية، ألم يسأل الذين أتوا بالتحدّي والتعجيز أنفسهم، لِمَ لمْ يذكره الله ولا رسوله، بأي لفظ صريح كان، و لم يأتنا لا فهماً ولا تأويلاً من أصحابه ﷺ ممّن أخذنا عنهم الدين، وهو الركن الذي قام عليه القرآن كما يزعمون!؟.

ثم نقول: إن الإنسان بضعفه وجهله, هو من يسعى إلى كُفر الله وعصيانه وتحدّيه, حرباً ومحاددة, ولكن الله –جلّ في علوّه وكبريائه– لا يتحدى الضعيف المتهالك في ضعفه, ولا يصحّ في حقه أبداً, ويكفي أن نتذكر أن القرآن كله والسُّنة كلها, وأصحاب النبي ﷺ, لم ينقلوا إلينا شيئاً من هذا, بل هو ظن ملتبس, وزلةّ مزينة, عند بعض الناس, ولا يؤخذ الدين أبداً من أفواه الناس, ولا من أفهامهم, فكل علماء الأرض عيال على محمد ﷺ في العلم والدين.

فكم سمعنا عن ضعيف تحدى من هو أقوى منه, فهذا سائغ معقول, أما أن يتحدى بالغ القوة والقدرة, ضعيفاً متهالكاً بضعفه, فهذا شططٌ نُكُر, لا يقبله أقلّ الناس عقلاً!, فكيف قبلنا على الله –نستغفره سبحانه– وهو من لا نتخيل من القوة والحول والطول والقدرة والسلطان, كيف قبلنا أن يتحدى ربّنا العظيم نفراً من عبيده, غرّهم جهلهم وضلالهم!؟, {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَسِرِينَ}, فلو تحدى غلام ضعيف أعرج أبتر, فارساً شديداً ببأسه وحيلته, كخالد بن الوليد, لقلنا أغرى الغلامَ جهلُه ونقصُ عقله!, أما أن يتحدى فارس شديد البأس, كخالد, يتحدى بجد وحدّة وإصرار, ذلك الغلام الضعيف الكسير, لقلنا إن العيب في خالد, ولاتهمناه في عقله!, فكيف قبلناها على الله, سيدنا العظيم العليّ القوي المجيد؟, تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً, إنما ذلكم الشيطان {يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.

وقد بلغنا أن النَّبيَّ ﷺ بَصقَ يَوْماً فِي كَفِّه فَوَضَعَ عَلَيْه أُصْبُعَهُ ثُمَّ قَالَ:
«قَالَ اللَّهُ: ابْنَ آدَمَ, أَنَّى تُعْجِزُنِي, وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِه». وقوله ﷺ من حديث عظيم الشأن والدلالة فتدبره: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ». فانظر أين يُعقل "التحدي" أمام هذا العلوّ والمجد؟, فربٌّ بهذا العلو والسلطان والقدرة والرحمة, يتحدى من؟, وعلى ماذا؟. {مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}؟.
ثم قوله ﷺ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدلُ عنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَة مَا سَقَى كَافرًا منْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ».. فقد يقتل الله العبد الفاجر المفسد ويعذّبه, عقاباً وإحقاقاً وعدلاً, ولكن لا يجعله نداًّ ولا يتحدّاه!.

ثمّ كيف قبلنا وصدّقنا أنّ الجبار العظيم يتحدّانا، ونحن أنفسنا من صنع يده، وليس أحد منّا إلا وناصيته بيده، تقدّس اسمه وتمجّد شأنه!؟. فلا يستوي ولا يعدل التحدي إلا بين الأنداد والأقران!. أمّا أن يتحدّى الخالق ما عملت يداه، فهذا من اللّعب الذي نزّه عنه مولانا وسيّدنا العظيم!.

كذلك، لن يستوي "التحدي" بيننا وبينه تقدّس اسمه، إذا استذكرناه ربّاً كريماً ودوداً رحيماً يحبّ لعباده الخير والحسنى؛ ألا ترون إلى رفقه ورأفته بعبده فرعون الذي كفره {فَقُولا لَهُ قَوْلا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.
ثم أين نذهب بهذه الآية الجليلة الجليّة {إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}؟!.

فالعلاقة السويّة بين الربّ وعباده، علاقة النفع والهداية والرعاية والقوامة، لا علاقة التحدّي والمصارعة والمعاجزة، ويكفي أن تستذكر الحديث العظيم الذي مرّ قبل سطور «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»!.

ثمّ أين من نحت لنا نحتة "التحدّي والتعجيز" من هذه الآية العظيمة {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}، فكيف لهم أن يوفّقوا بين حرص النبي على الخير لمن بُعث إليهم، حتى لا يعنتوا ولا يشقُوا ولا يخزوُا، وبين ما صوّروه لنا من المعاجزة والتحدّي والتخريق!؟.

فهذا هو الأصل, وهذا ظاهر النبوة والكتاب, فكيف صدّقنا أنّ الله "يتحدى" الهيّن الجاهل الضعيف, بغير سلطان من كتاب الله أو حديث نبيه ﷺ؟.

فإن قال أصحاب "التحدي والتعجيز": كل العلماء يقولون بـ"التحدي", وقول العلماء إجماع متّبع!. قلنا: كل الصحابة والنبي ﷺ لا يقولون بالتحدي, فأي الجمعين أعلم وأولى؟. كذلك, لا إجماع ولا اتباع, فيما خالف النبوة والكتاب!. ألم يُعلّموا أنّ كلٌّ يؤخذ من فمه ويرد عليه, إلا محمداً ﷺ؟.

فإن جاءك من يَلبس عليك دينك بـ"التحدي" و"الإعجاز", فاذكر أن نبيك محمداً ﷺ, لم يذكر منه شيئاً أبداً!, ولكن من الناس من "ينحتون" الظن والفكر, ثم يجعلونها ديناً كدين الله!.
{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}.

{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ}..
هذا هو الأصل العظيم للكتاب العظيم, أنْ {لاَ رَيْبَ فِيهِ}!.
أمّا {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا}, فهذا التفات إلى من شذّ, من المرتابين والكافرين, بدليل ابتداء الآية بقول الله {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ}!, إذ لو

زال "الريب" منهم, لبقي القصد والأصل الذي نزل عليه القرآن, على أصله الأول, أن {لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}، فكيف جعلوا الخطاب للشاذّ القليل، أصل حكمة التتريل!؟.

فلا يصح إذاً أبداً, قول من جعل من الآيات الأربع, -وقد التبس عليه تأويلها-, إذ جاءت تصحيحاً مخصصاً لزيغ الذين في قلوبهم مرض, و لم يكن لها علاقة بالمقاصد والعُرى العليا للكتاب والدين, فجعلها أصحاب "التحدي والتعجيز", أصلاً أولاً, وأساساً لبعث النبوة والكتاب, وعطّلوا والتفتوا عن الأصل الظاهر الجلي المبين, من عموم الهدى والخير والرشاد, في مقاصد النبوة والكتاب؟!.

فالأصل في دعوة الله للناس, بكتبه ورسله, هداهم وخيرهم وصلاحهم, وأن يرجعوا إلى رهم, كما بدأهم أول مرة, ويشهد لها ما ذكره نبي الله ﷺ عن ربّنا المجيد: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ, وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا». فللناس على الله, حق التبين واليقين, فيما أرسل لهم به من نبي أو كتاب, من أجل ذلك بدأ الله الكتاب تطميناً وتأكيداً أن {لاَ رَيْبَ فِيهِ, هُدًى}, ليستسيغ المستهدي المستبين سبيل إجابة الله إلى ما يدعو إليه. {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.

أما ريبة المرتاب, فهي الشاذ الناشز ممن جحد وظلم, وليست هي علّة تتريل الكتاب, ولا مداره أبداً {بَلْ هُوَ آيَتٌ بَيِّنَتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَتِنَا إِلا الظَّلِمُونَ}.

فكيف تركوا عشرات من الآيات البينات, أن هذا القرآن للهدى والرحمة والنور والشفاء والحياة, واستمسكوا بما لم يحسنوا تأويله, أنه للمعاجزة والمنازلة والتحدي!؟.

وها قد أنزل الله في الكتاب, أنّ القرآن "حسرة" على الكافرين, {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَفِرِينَ}, وأنه لا يزيدهم إلا "خساراً", {وَلاَ يَزِيدُ الظَّلِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا}, وأنه عليهم "عمى" {وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}, وأن آياته تزيدهم "رجساً", {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَفِرُونَ}, فهل لعاقل أن يجعل واحدة من هذه التسميات, تعرفة عامة, نُعرّف القرآن بها للعالمين؟, فيحملها للناس, فيقول مثلاً: "القرآن عمى", أو "القرآن حسرة", أو يقول: "القرآن رجس وخسار"!؟.

لا, ولا يقبلها مؤمن عاقل, مع أنها من كلمات الله المترلة في الكتاب, فكيف ابتدعنا واختلقنا "المعجزة" التي لا أصل لها, لا في النبوة ولا في الكتاب, فجعلناها أشهر تعرفة للقرآن, ونفخنا فيها وزيّناها, وكتبنا لها الكتب, ونشرنا لها الصحف, ونمّقنا لها الخطب!؟.

فحتى, وإن كان "معجزاً" للكافرين, -ونحن لا نُقرّ هذه "النحتة أبداً", ولا نؤمن إلا بما جاءنا عن رسول الله-, فما لها وللمؤمنين, ولماذا يخاطبون بها وهم مؤمنون؟, فوجب -إن كانت للكافرين جدلاً- أن لا تُقال إلا لكافر مرتاب عنيد, ولا يُذكر في ديار المؤمنين إلا نور القرآن ورحمته وشفاؤه وهداه!.

مَثَلٌ لتقريب ما نزل القرآن لأجله, من الهدى والنور والرحمة, يتفق مع آياتــه, ويبطل "التحدي والتعجيز"!.

فإنما مثل النبي ﷺ, وما جاء به من الهدى والنور, كمثل قوم لهم "ملِك", ساروا بأرضه, فضلوا سبيلهم, فأرسل "الملك" لهم "رسولاً" من أنفسهم, يعرفهم ويعرفونه, ليردهم ويهديهم إلى سواء السبيل, فجاءهم وهم في الضلالة والظلمات, فقال: إني رسول الملك إليكم, أرسلني بكتاب منير, أرشدكم وأهديكم بــه سواء السبيل, ولأُنذركم هلاكاً محيقاً في آخر ما أنتم عليه!.

فقالوا: هذا الرجل فينا مصدّق أمين, والكتاب الذي معه كتاب كريم, لا يخرج مثله إلا من عند الملــك, فلنتبعه وننج من ضلالنا!.

وكان فيهم, طائفة في قلوبهم مرض, ينفعهم ضلال الناس, فكذّبوا وشككوا وارتابوا, وقالوا للرسول: بل الكتاب من عندك, أنت اكتتبته وافتريته, ولم يرسل "الملك" إلينا أحداً.

فقال الرسول للطائفة التي شذت بارتيابها وتكذيبها, قال: إن ارتبتم وكذبتم, فأتوا بكتاب مثله, إن كان من مثل كتب الناس وكلامهم, كما تزعمون!, فأنا واحدٌ من البشر أقول من مثل ما يقولون, فإن كان من عندي, وأنتم مثلي, فأتوا بمثله!, قال الرسول هذا, ليبيّن لهم, كذب دعواهم, ويبطل فريتهم!.

ثم قال الرسول للمرتابين المكذّبين: إنكم لن تفعلوا, ولن تأتوا بمثله, وإني لكم ناصح أمين, فلا تُهلكــوا أنفسكم, والحقوا بقومكم, ففي آخر هذا السبيل هلاك من لم يرجع!. {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَفِرِينَ}.

فهل يصدق أو يصيب, من فهم من هذا المثل, أن الملك أرسل رسوله لــ"يعجز" المرتابين, و"يتحدى" المكذبين؟!.

شاهد لنا من حديث الرسول محمد ﷺ.

انظر في قول رسولنا محمد ﷺ الذي صَدَقنا ونصح لنا, لترى ما نصحنا لك فيه, قَال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ به, كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَىَّ، وَإِنِّى أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِه فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَــانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِى، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِه، وَمَثَلُ مَــنْ عَــصَانِى وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِه مِنَ الْحَقِّ».

فهذا أخي مثل الرسول والقرآن, الكتاب الذي معه, لا محلّ فيه للمنازلة ولا للتحدي ولا للتعجيــز {إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ, لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَفِرِينَ}, فلا يعلم المؤمن كيف تركنــا كل هذا, وصرنا إلى ما يؤذي ربنا ورسولنا ﷺ, فجعلنا كتابه ونبيه "متحدياً معاجزا"!؟.

فإذا انبرى أحدهم بعد هذا, ليحفظ سوءة "التحدي والتعجيز", وينفخ فيها الــروح الزائفــة, بــالقول المزخرف, والمنطق المتنطع, جدلاً وخصاماً, قلنا له: هذا "وصفكم" من أفواهكم, لم نسمعه من نــبي الله ﷺ, ولا من أصحابه الأركان, ولستم عندنا بأعلم من نبي الله ﷺ, ولا أبي بكر ولا عمر, وقد أتم الــنبي ﷺ رسالته ساعة موته, فلا كلام بعد كلامه, إلا السمع والطاعة والاتباع, فإنما العالم الصالح من حفظ لنا دين نبينا, ولم ينقص منه, ولم يزد فيه, فمن زاد تركناه وبدعته، والله لا يستحيي من الحق!.

"الآية" و"الرسول", هما السبيل لمعرفة الله كما أراد, فمن "زوّر" "الآية", فقد نكّر على الناس الهدى, وصدّهم عن السبيل!. و"المعجزة" زورٌ وتـنكير, في أصـل السبيل إلى الله, لا تهدي إلى الحق, فليحذرها المؤمنون!.

فعندنا نبي اسمه "محمد", ونعته كما ذُكر لكم, ودعوته ما بلغكم, فإن "تحرّف" اسمه إلى اسمٍ غيره, ارتبنا وأنكرنا, وإن اتفق اسمه, واختلف نعته, أنكرناه, وإن اتفق اسمه ونعته, واختلفت دعوته أنكرناه وتركناه, ولو خرق لنا الأرض وشق السماء, حتى إذا جاءنا بها جميعاً متفقات "بينات", عليها "آيةٌ" بخاتم النبـوة, عرفناه بـ"آياته" فصدقناه!. ولا يكون هو هو, حتى تجتمع له "آياته" وعلاماته وأشراطه, وكذلك كـل شيء مما خلق الله وذرأ, لا يستوي حتى ينطبق له كل ما كان من الله، فمن سمّى اسماً لغير مسمّاه، أو سمّى شيئاً بغير اسمه فلا حقّ له، ولا حقاً أصاب، حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط!. ألا ترون المفتاح لا يفـتح حتى تنطبق أسنانه كلها؟, كذلك الاسم والمسمى, لا يصلح ولا يصحّ حتى ينطبق انطباقاً!.

فإذا التبس أحدهما, -"الآية أو الرسول"- وتزوّر وتغيّر, اسماً أو تعرفة أو نعتاً, فلا ريب يضلّ الناس!. واذكر تحريف من حرّف الكتاب, إذ مَحَوْ اسمه ﷺ وبدّلوه, حتى إذا جاءهم أنكروه, ولبّسوا على مـن تابعهم على "تحريفهم"!.

فليس كل كتاب "قرآناً", حتى تجتمع له من الله, الجوامع والشروط, فإن تخلّف أحدها واختلف, فلـيس هو, ولا قداسة ولا كرامة, وإن توشّى وتحلّى, وشابه رسمه رسم القرآن!, ألا ترى المصحف المترجم, لا صلاة به ولا تلاوة, حتى يجتمع له ما اجتمع لـ"القرآن"؟.كذلك لا يسمى القرآن الذي أنزل الله بغير ما سمّاه الله, ولا بدّ من تواطؤ الاسم والمسمى, ولا عبرة ولا كرامة ولا اتباع لمن خالف وابتدع, كـذلك هي "الآية", لا تصير "معجزة", حتى تصير الأرض سماء, والسماء أرضاً!.

كذلك لن تعرف "الآية", ولن تعرف رسالتها من ورائها, حتى يجتمع لها, ما وجب لغيرها مما سبق مـن الأشراط, فإن تخلّف منها شيء أو اختلف, فلن نعرفها, ولو أقسمنا عليها اليمين!. فوجـب أن تبقـى "الآية" -أولاً وآخراً- "آية", و"البينة" "بينة", فإن صارت "معجزة", فهذا أول التـضليل, ثم الله يعلـم منتهاها!؟.

وكم تكلّم المدّاح للقرآن بلاغته وبيانه, على ما فيه من السلطان الأعلى, باسـتعمال المفـردة واللفـظ, بمحلها الأنسب, الذي لا يصلح معه غيرها, -ونحن نشهد للقرآن بهذا, وبالذي هو خير, وبكل صـالحة عليّة-, ففي مدحهم وثنائهم هذا, حجة عليهم من أفواههم, وتأكيداً لما نبني عليه, من واجـب تواطـؤ الاسم والمسمى, فالزيتونة شجرة, والنخلة شجرة, ولن تصير الزيتونة نخلة, ولا النخلة زيتونـة!. فمـن واعدك عند نخلة, فلا تطلبه عند زيتونة, فإن تهاونت فقد أضعت, ولو أن كلتيهما شجرة!, فإن واثقَنا اللهُ على "آية" و"ملة" و"محمد", فلن يلقانا على "معجزة" ولا على "عقيدة" ولا على"زيد"!.

فما لم نقتفِ كلمات القرآن و"آياته", ونلتزمها كما هي من عند العليم الحكيم, فلن نهتدي إذاً أبداً!.

ونضرب لذلك مثلاً من التنزيل الحكيم, إذ استعمل العليم تقدس اسمه, مفردات متـشابهات في الدلالـة والمعنى, مختلفات في اللفظ والحال والمحلّ, منها: "الشق, والفتق, والمزق, والفلق, والقدّ, والقطع", وهذه كلها في القرآن, فلو بدّلنا واحدة محل أخرى, لفسد المعنى, بل لم يعد قرآناً, باتفاق أهل الملّـة جميعـاً!. وبهذه تصبح "الآية" قرآناً, وتصبح "المعجزة" -وجوباً- شيئاً آخر, إلا القرآن!.

و لم يرد "القدّ" في القرآن, سوى مرة واحدة, كانت فيها براءة نبي الله يوسف, لا تتم براءته إلا بهذه المفردة الفريدة!, فـ"القدّ" هو أدقّ وأصدق تسمية, لما قد يحكيه أحدٌ لفعلة امرأة العزيز, وما جرى لقميص يوسف ولو بدّلها أحد "بشبيهاتها", من "الشق, أوالفتق, أوالمزق, أوالفلق", لما أصاب ولا صدق, مع أن "الشق, والفتق, والمزق" نظائر وأشباه بالغات الشبه, ولكل حرفها المنزّل المحفوظ في كتاب الله, وستراهم مستعجلين أن يردّوا ويصوّبوا من قال: إن القميص انشق أو انفتق أو انمزق, فإن قال لهم "المبدّل": لا مشاحّة فيها, وكلها سواء!, فسيقولون له: هذا عند الشعراء والنثّار, أمّا في كتاب الله, فلا تبديل ولا تحريف, ثم هم يعودون لما نَهَوْا عنه, ويقعون فيه!.
فإذا علمت أن "قدّ" القميص في كتاب الله, غير "شقه", -ولو كان عند الناس سواء-, فاعلم يقيناً, أن "الآية" غير "المعجزة", وأن "الملة" غير "العقيدة", ولن يستويا, حتى تستوي الحسنة والسيئة!.

ألا تعجب لمؤمن يقرأ في الصلاة قول ربّه {قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِه نَاقَةُ اللّه لَكُمْ آيَةً}, فإذا انصرف من صلاته قال : "معجزة الناقة"!, فمتى كان أصدق وأصوب؟, وهو في صلاته, أم بعد ما انصرف!؟, ألا تراه في صلاته لا يقول إلا الحق, حتى إذا مضى قال من نفسه, فخلط وبدّل!.

فكتاب الله الحكيم, جمْعٌ معظّم مقدّس من "آيات" "بينات", "عرفناها" بما فيها من الهدى والنور والتبيان, فأوردتنا صراطاً مستقيماً. ففي أنفسنا "آية", على "الخالق البديع", وفي السماء "آية", وفي الأرض "آية", كلها "تبيّن" أن لا إله إلا الله وحده رب العالمين, من غير تخريق ولا تعجيز {سَنُرِيهِمْ آيَتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}. فـ"الآية" أخي -بدلالة هذه الآية- هو ما جعله الله ليبيّن به للناس, لا ليعاجزهم به, و{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآَيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. فمن تتبع "هدى" "الآية" عقل بها الحق. {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}!.

"فالآية", -باختصار بيّن, لا يختلف عليه عاقلان-, هي "علامة" دالة, تشير وتهدي, ليعلم المستدل بها علماً مدلولاً, متعلقاً بها تخصيصاً, فلكل "آية" دلالة وعلم مخصوص, كما نعرف النهار بآيته وعلامته, والليل بعلامته وآيته, والشتاء والصيف!, وكما يستدل الطبيب بـ"الأعراض", ليعلم بها علّة المريض!, فـ"الأعراض" للطبيب, هي "الآيات" الخاصة, التي يستدل بها على علّة مخصوصة.

فـ"ناقة الله وسقياها" إلى ثمود, "آية" ذات دلالة عظيمة, وحكمة بالغة, لعلّة ومرض في ثمود خاصة -غير ما شاع في الناس, من وقفها على "قدرة" الله على إخراجها من الصخر, فهذا كله باطل, ما صحّ منه شيء, بشهادة أمناء الرواية والحديث-, كذلك في "العصا والثعبان" و"اليد البيضاء", في كل دلالة مخصوصة, - لعلة بذاتها عند فرعون وقومه-, وعلم محصول, يهدي إلى الحق الذي كتبه ربنا الأعلى تقدّس اسمه. ثم ما أتى به روح الله عيسى ابن مريم, كلها "آيات" بينات ذات دلالة ومراد مخصوص, لا يصحّ وقفه وحصره على "الخرق" لذات الخرق!, فـ"الخرق" المنقطع عن الحكمة والدلالة, عبث لا ينبغي نسبته إلى الله إبداً!. وفي موقعنا مزيد تفصيل.

ولا ينبغي لمؤمن يُكبر ربه ويجلّه, أن يظن لوهلة, أن الله أرسل نبياً بــ"آية" لا مدلول لها, إلا "ليخرق الله بها العادة" كما يتقوّل الناس, ففي هذا سوء من الظن عظيم!.
ثم اعلم أن "الآية" بذاتها, هي سبيل للعلم والدلالة والتعريف, فإن التبست "التعرفة" والعلامة, وانحرفــت "السبيل", فعن أي هدى يتحدّثون ويبحثون, أو علم أو تعريف!.
فقد تُجرّد سيفاً من غمده, ثم تجرّد قلماً من غطائه, فالتجريد في الاثنين واحد, فهل "الدالّة والرسالة" من ورائهما واحدة؟. فتجريد الأول حرابة, وتجريد الثاني كتابة!, فمن استوى عنده من جرّد له سيفاً, مــع من جرّد له القلم, فقد أهلك نفسه!.
فإذا عرفت "الرسالة" والدلالة التي من وراء"الآية", فقد عرفت ربك, وإذا التبست عليك, و لم تبلغــك, ضلّت سبيلك, وجارت راحلتك!. {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الأَوَّلِــينَ. أَمْ لَــمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}.

أمثال للشرح والتوضيح..

هذا, لتعلم أن "الآية" –في تعرفة النبوة والكتاب لها–, هو ما فصلناه من كونها "علامة دالة", لتَعلم بهــا وتَعرف, ولا غاية لها في "التعجيز" ولا "التخريق" والتهويل!. إذ في الحديث الصدق عــن نــبي الله ﷺ, قوله: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ», فهل تقبل أن يُراودك أحد ليسحرك فتَصدّق, أن "معجزات" المنافق ثــلاث؟!, فكيــف قبلــت أن "آيــة" المنــافق, تعــني "علامة"المنافق, التي تعرفه بها, بينما صارت "آية" الله عندهم, تعني "معجزة" الله الخارقة!؟. فاعلم أن من جعل "آيات" الله "معجزات", فتُقبّل منه, فقد سحر مَن قَبلَ وصدّق!.
فهذه أخي "آيات" ثلاث, إن "علمتها", علمت المنافق من غيره!, وإن غفلنا عن "الآيــة", ودلالاتهــا, وغفلنا عن المدلول والمؤدّى من: "إذا حدث كذب", وعن المدلول من: "إذا وعد أخلف", وعن المــدلول من: " إذا اؤتمن خان", فسنغفل بالضرورة كذلك, عن المدلول من: "ناقة الله وسقياها", وعن المــدلول من: "العصا التي صارت ثعباناُ" وعن مدلول "اليد التي خرجت بيضاء", وسنحسبها جميعاً "شــقلبات" مؤثرات جذابة, وستغيب عنك الحكمة البالغة من ورائها!.
ألم تسأل نفسك, لمَ اختار العليم الحكيم –أصلاً– "العصا" لتكون "آيته" لفرعون أن الله هو رب العالمين, ولمَ اختار أن تصير "ثعباناً" لا خيلاً مثلاً ؟, و لم اختار "اليد" لا الوجه مثلاً؟!, إذ لو ابيض وجه موسى, لكان أبلغ وأكرم وأدلّ, هذا إذا صحّ فهم من فهم البياض بالضياء والنور, وهو ما لم يصحّ، و لم يثبت به سند ولا أثر!. ألم تسأل نفسك لمَ اختارها الحكيم "ناقة", –هذا إذا علمت فساد وبطلان زعم من زعم أن ثمود هم من اختارها "ناقة"!؟.
إذا غاب عنك هذ,ا وغفلت عنه, سيجد الغافل نفسه, خليلاً لمنافق وهو لا يعلم!, فبــ"الآيــة" تعلــم وتعرف وتستدل, فتهتدي وتتقي, وتصل وتحلّ بسلام, تماماً, كما يفعل "المستبصر" المقتفي, الذي يتبــع "علامات" السبيل, فيعرف "دلالتها" ومعناها ومؤدّاها, فيتبعها راشداً, فيصل ويأمن, فإن لم يعقل دلالــة "العلامة" والإشارة, فراح يميناً أو راح شمالاً, فقد ضلت سبيله!. فما بالك إن كانت "آية" أو إشــارة" تحذرهم هلاكاً قريباً!؟. {وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ. كَذَّبُوا بِآيَتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ}
.

وفي موت نبي الله سليمان "آية" على ما نقول, من قوله تقدس اسمه {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُــمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُــوا فِــي

الْعَذَابِ الْمُهِينِ}. فتدبرها وتبيّن آيتها!, وانتبه إلى {مَا دَلَّهُمْ إِلاَّ}!, فاستدل من استدل على موت سليمانَ بـ"آيَة" ودلالة وعلامة مأكل الدابة منسأة سليمان!, ثم "تبيّنت" الجن –بما استدلت به–, أنها لا تعلم الغيب, فموت سليمان وهم لا يعلمون, "آية" بينة, "بينت" لهم جهلهم الغيب!.

ثم تدبّر حديث نبي الله المعصوم ﷺ من إنبائه بما سيكون من أمر الخوارج, لترى أين يستعمل نبي الله ﷺ, "الآية", وكيف يهتدي بها أصحابه, ويتعرّفون!, إذ قال ﷺ عنهم: «آيَتُهُمْ –أي علامتهم, وليس معجزهم– رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِياً ابْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ، فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

وفي رواية أخرى, أن علياً رضي الله عنه قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَدْ حَدَّثَنَا بِأَقْوَامٍ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ, ثُمَّ لاَ يَرْجِعُونَ فِيهِ أَبَداً حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ عَلَى فُوقِهِ, وَإِنَّ آيَةَ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلاً أَسْوَدَ مُخْدَجَ الْيَدِ إِحْدَى يَدَيْهِ كَثَدْيِ الْمَرْأَةِ, فَالْتَمِسُوهُ فَإِنِّي أُرَاهُ فِيهِمْ. فَالْتَمَسُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى شَفِيرِ النَّهَرِ تَحْتَ الْقَتْلَى فَأَخْرَجُوهُ فَكَبَّرَ عَلِيٌّ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَإِنَّهُ لَمُتَقَلِّدٌ قَوْساً لَهُ عَرَبِيَّةً فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَطْعَنُ بِهَا فِي مُخْدَجَتِهِ وَيَقُولُ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَكَبَّرَ النَّاسُ حِينَ رَأَوْهُ وَاسْتَبْشَرُوا!. فانظر –هدانا وإياك الله– كيف يستدلون بـ"الآية", فيعرفون ويهتدون, ثم انظر من يصدّق من يقول: إن يد ذلك الأسود كانت "معجزته", ثم انظر معنى الآية عند الأولين الصالحين، كيف يستعملونها ويهتدون بها، ثم انظر كيف صارت عندنا مؤثّرات بصرية وشقلبات وتهويل!.
ثم انظر أثر "الآية" ودلالتها وهداها في علي رضي الله عنه, يقول: "صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ". ثم انظر أثر "الآية" في المؤمنين من قولهم في الرواية: "وَكَبَّرَ النَّاسُ حِينَ رَأَوْهُ وَاسْتَبْشَرُوا"!. فالآية أخي للهداية والبصيرة، وما كانت أبداً للخوارق والتعجيزات!، فسبحان الله رب العالمين.

وهذا مثل جلي عن نبي, ذلك زكريا عليه السلام, يسأل ربه الولد الوريث, فتبشره الملائكة, فيتساءل {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا}. فقوله تقدس اسمه {وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا}, جواب "مبرهن" بـ"آية" لزكريا, فيتذكّر ويعلم, {وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}؟, فقال زكريا {رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً}!, فقال الله {آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}!.

سؤال: هل "تحدى" الله زكريا بهذه "الآية" فأعجزه؟.
وأين "الخارق" المهول في "معجزة" من يسكت ثلاث ليال؟.

فهكذا أخي, فوتنا على أنفسنا العلم والهدى والحكمة, بالإيمان بـ"التخريق" و"التعجيز" الصارف عن العبرة والتبصرة والتذكرة {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}.

فهذه هي "الآية" أخي, وهذا نفعها, وهذا عملها, تهديك وتدلّك وتعرّفك, فهي هدى ونـــور, فكيـــف ينقلب "الهدى والنور" "عجزاً" و"تعجيزاً" و"معجزات"!, لا جرم أنها باطلة محدثـــة مفتـــراة, ولا جـــرم اعتمينا وزللنا, إذ بدأ بها "الدجّال" —فلا نعرف صالحاً مؤمناً يقول أنا بدأتها— فصدقه من صـــدقه مـــن الناس, فتبعناهم وتبعناه!.

هكذا "أخرج" الناس "المعجزة" جسداً لها خوار, ثم زيّنوها وعرّفوها, ثم أقحموها في دين الله, وليست من دين الله في شيء!.

قل صدق الله!, ففي سورة الصافات عن أبينا إبراهيم لقومه {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ}, فهذه سنة الناس في اتباع الهوى, وخلاف الحق, تراهم "ينحتون" النحتة بأيديهم وألسنتهم, ثم يتحاكمون إليها, ثم تـــصير لهم ديناً مفروضاً!. وليس "النحت" في الصخر والحجر وحـــسب, بـــل هـــو في "القـــول" و"الفكـــر" و"المصطلح" كما في الحجر!. ترى طائفة من الناس "تنحت" لها نحتاً, تُعرّفه وتُعرَف به, عليه يجتمعـــون, وعنه يصدرون.

فانظر واعجب, ثم سلهم, ما هي "المعجزة" التي خرجتم على الناس بها؟.

سيقولون, —وانتبه إلى "النحت" والتكلّف" يحسبه الظمآن ماء—, سيقولون:
هي الأمر "الخارق للعادة", السالم من المعارضة, المقرون بـــ"التحدي", لـــ"عجز" البشر عـــن الإتيـــان بمثله!.
أو يقولون —على خلاف مرير بين العلماء, والفرق الكلامية المتشدقة— يقولون:
هي أمر يظهر بخلاف العادة, على يد "مدعي" النبوة, عند "تحدي" المنكرين لنبوته, وذلك علـــى وجـــه "يعجزهم" عن الإتيان بمثله"!.

وقبل أن نبيّن فساد هذه "النحوت" والتكلّفات, نُذكّر أن هذين "الوصفين" أو التعـــريفين, همـــا بعـــض "الشائع" بين الدارسين والمتعلمين, ولكن كثيراً من العلماء أنفسهم من خالف وذهب بعيـــداً, وعـــارض ورفض, ولو خضت في التصانيف والكتب التي حُرّرت لأجلها, —على خلافٍ بين الفرق والمـــذاهب— لوجدت عجباً وخلطاً وخلافاً مريراً!.
فلا يظن ظانٌ أن لهذه "النحوت" الوصفية نسبة أو أصلاً في كتاب الله أو سنة النبي ﷺ, أو أنها من المتفق الجامع, بل هي محل خلاف واختلاف, كانت وما زالت, حتى يأذن الله بكشف غُمتها!, فلن تجد مـــن سمعها عن أبي بكر أو عمر أو أحد ممن أوصى بهم الرسول ﷺ, بل هي مما "تكلفه" المتقوّلون مـــن عنـــد أنفسهم, وليست من دين الله في شيء, فانتبه!.

وفي السطور التي خلت من قبل, بيان بطلان ما اُلصق بكتاب الله من "التحدي" و"التعجيز", وبراءة النبوة والكتاب من أذى "العجز" والتثبيط, —فهما في العربية سواء—, ولكن الجديد في هذه "المنحوتات", مـــا تذكره من "خرق العادة", التي تنبّه لها بعض العلماء, —بعد أربعمائة عام من افترائها—, فأضـــاف إليهـــا شرطاً جديداً آخر, هو أن يسع "الخرق" "الثقلين", إنساً وجنّاً!!. ثم الله يعلم أين ستكون "الرقعة" التالية, ومتى هي؟.

فانظر –حفظك الله– كم في "النحتة" من "الخرق", ثم انظر كيف يرقعون, ثم انظر كيف صار "وصف" القرآن سوقاً حلاً مشاعاً بعد نبي الله ﷺ وأصحابه!.

بدأ اللّبس من فهم من قال: إن "المعجزات" جاءت, "ليثبت" كل نبي فيها نبوته!.

وهنا مكمن الزلل, فلو نظرت في كل آيات القرآن عن النبيين والمرسلين, لبدا وتبيّن لك غير ذلك, إذ لم يتجاوز أي نبي أن يدعو قومه إلى ربهم من غير ندٍّ ولا شريك, ويتركوا ما هم فيه من الإفك والشرك, {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ}. فهل ترى لمثل هذا الحق الأبلج, حاجة إلى برهان أوسلطان؟. أليس المشرك المؤتفك أولى بـ"الخوارق" والبرهان والسلطان, على ما جعل مع الله من الشرك والأنداد؟. ثم, على من تجب البينة؟, أليست على المدّعين؟, أعلى الله ورسله, صاحب الحق كله, أم على المدّعين إفكاً من الكافرين؟.

فاقرأ وتدبر من سورة أبينا إبراهيم, قول عموم المرسلين لقومهم {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ, * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

فانظر وانتبه, كيف يدعو المرسلون ابتداءً إلى حق ربهم بغير سلطان ولا برهان, –مما يسميه الناس باطلاً, "المعجزات والخوارق"– إذ الحق كله لله, أن لا إله إلا هو, وأن السلطان والبرهان واجب على من أشرك بالله, وهذا شاهد من كلام الله في حجته, إلى إبينا إبراهيم, قال: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

ثم انظر بيانها على لسان فتية الكهف قالوا {هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ, فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}, فالفتية يرون أن السلطان والبرهان, على من افترى على الله الإفك والشريك, وليس على الله ولا على رسله, فمن هنا بدأ الزلل والزيغ, عند من غفل عنها, و"أوجب" "المعجزة" الخارقة على المرسلين!.

ولو تدبروا القرآن, لعلموا أن عداوة المستكبرين المترفين وخصومتهم للنبيين, لم تكن في "نبوة" النبيين, ولكن كانت فيما "يدعو" إليه النبيون, من حقٍّ ومُلك هو لله وحده, {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ}!. فانظر ماذا لدى بلال ليخسره, إذا ما آمن بمحمد ﷺ, وكم سيخسر فرعون –بحسبته هو– إذا آمن بموسى!؟. من أجل ذلك هرع الأول إلى محمد ﷺ, بغير "معجزات ولا خوارق", وفرّ الثاني من وجه موسى, بكل ما جاء به من الآيات والبراهين . {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى}. ولو أن موسى جاء بالتأييد والنصر لفرعون من عند الله, لقرّبه فرعون وصدّقه ودعا بدعوته!. فالأمر كما هو ظاهر, ليس في "نبوة" النبي, قدر ما هو في "مطلب" النبي!.

ولو نظرت في كتاب الله كله, لوجدت أن المستضعفين البرءاء من الترف والكبر والسلطان, هم المؤمنون المسارعون إلى الإنبياء, بغير بينة ولا برهان يسألونه, كما آمن أبو بكر –البريء من الترف والكبر– وبلال والمستضعفون, كما سنّة الله في النبيين, يتبعهم الفقراء المستضعفون.

ويشهد الله والمؤمنون, أننا لا نعلم أن بلالاً سأل نبي الله ﷺ "برهاناً" ولا سلطان صدق قبل إيمانه, بل النبي ﷺ, كان لبلال نجاته وعتقه ونوره, كما لسائر المستضعفين, فعلام يقاتل بلال محمداً ﷺ؟.
وفي صحيح أخبار النبوة شواهد كثر, لرجال آمنوا لمجرد أن رأوا النبي ﷺ, وسمعوا كلامه, من غير "خارقة" ولا "تحد" ولا "تعجيز", {أَفِي اللّهِ شَكٌّ}!؟.
فيما كذّب وأبى المترف المستكبر, ذو النّعمة والسلطان {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَفِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}. {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ}, وأولئك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}.
فـ"الآيتان" البيّنتان في كتاب الله, من "الناقة" لثمود, و"العصا" لفرعون, لم تكن إلا بعد عنادهم وصدهم وكبرهم, ولم تكن عادة إلاّ في آخر الأمر, {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ, قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ}, وقد سمّى الله القومين بما هم فيه من العداوة لربهم, قال: {هَلْ أَتَـكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ, فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ}, فانظر إلى "الجنود", لتلعم أنهم هم المحاربون لربهم, وأن الله ما أرسل إلا بطلب حقه وملكه, فمن ذا الذي أوجب على الله "الخارق" البرهان؟.

فاعلم بهذا, أن كل نبي في الأصل, لا تلزمه البينة ولا البرهان, فإنما يطلب الحقّ الأبلج الأجلى لصاحب الحقّ, كما ثبت بما أتينا به من القرآن, ألم ترَ إلى إبراهيم ﷺ لا تعوزه "الخوارق" ولا يبحث عنها, أن المُلك لربه الأحد {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَهِـمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَـهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِـمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَهِـمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلمِينَ}!. وما كانت نجاة إبراهيم ﷺ من النار إلا آية للمؤمنين, الذين سيتبعون ملّته أنهم في مأمن من النار {فَأَنجَـهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}, ولم تكن استعراضاً ولا تعجيزاً للكافرين!.

فلا يضطر النبي إلى "آية" ولا إلى "بينة", وما جاءت "الآيات" التي حرّفها الناس "معجزات وخوارق", ما جاءت إلا تخويفاً وإنذاراً, بعد عند العنيد, وكبر المستكبر, والأصل في "الآيات" والبراهين المنع, فلا تعطى لكل من سأل, {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا}. وهذا هو العموم في كل الرسل, {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ}. حتى تبيّنت جلية في حق الخاتم محمد ﷺ, إذ قال الله {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}.

وليس أدل على عدم لزوم "المعجزة" و"الخارقة", شرطاً للنبوة, -مع وجوب "الآية" لكل نبي, كما قال ﷺ-, ليس أدل عليها, ما أرسله نبي الله ﷺ, إلى كسرى الفرس وإلى غيره يدعوه به, دون أن

يرسل مع كتابه ﷺ, شيئاً من "الخوارق والمعجزات"!, فلو كانت شرطاً كما يقولون, لما كان في كتابه ﷺ إلى كسرى حجة, حتى يُرفق ﷺ كتابه ويدمغه بـــ"معجزة خارقة"!.
ثم ما صحّ واشتهر من قصة هرقل الروم مع أبي سفيان, حين سأله هرقل عن حال النبي ﷺ, أسئلة يعرف بها نبينا ﷺ, فخصص هرقل واستفاض, حتى عرف وأقرّ أنه نبي الله ﷺ, دون أن يسأل هرقل "الداهية" عن "الخوارق والمعجزات", التي صارت من بعد –عند من أحدثوها– شرط النبوة العظيم!, فكان ينبغي لهرقل ويكفيه, أن لا يسأل عن شيء حتى يسأل عن "الخارقة المعجزة" لو كانوا صادقين!.

فلا يصحّ بعد هذا, أن يقال إن النبي يأتي ومعه "الخوارق والمعجزات" ليثبت نبوته!, بل يكفي لأي نبي, أن لا يقول قولاً إلا صدق فيه, ولا يُنبئ بنبأ –ماض أو حاضر أو مقبل– إلا كان كما أنبأ, إذ ذلك هو الذي جُعل نبياً لأجله!, {وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}. فـ"النبي" و"النبيء" –كما في القراءة المتوترة– أصلها من "نبأ", وهو من جاء "ينبئنا" بما أمر الله, وليس من جاء "يتحدّانا ويُعجزنا", ويخرق لنا "العادات"!. ثم نراه يُعرف بالصدق والأمانة والخلق القويم, فيُصَدّقُ ويُؤمن له {وَمَا تُغْنِي الآيَتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}!, أما "الخوارق" و"المعجزات" من نفسها فلا تقضي بشيء, فلن نصدّق "كذّاباً" ظهر كذبه, ولو "خرّق" الخوارق, وأعجب بالمعجزات!, فهذا الأخير هو "الدّجال" بعينه, ولن نصدّقه ولو فعل ما فعل!.

فثبت من هذا أن "المعجزة" والخارقة لا تقضي بشيء من ذاتها, حتى نعلم صدق "نبأ" صاحبها!, فيبقى أن الأصل هو "صدق النبأ", لا خرق العادة, ولا "تعجيز" الناس!, بدليل أننا نكذّب كل "خوارق" الدجال و"معجزاته", لأجل "نبأ" صادق من "نبي" الله محمد ﷺ!.

بل "الآيات" لتخويف الجاحدين والكافرين, بعد العند والصد والنكران, كما ثبت في كتاب الله, {وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا}. ولكن يصدّق الله النبيين بـــ"آيات" تثبيتاً لرسالة الحق, وحق الرسالة, لتتم حجته على العالمين فيُعذر إليهم, {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}, وقول نبي الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ, مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ».
ثم تثبيتاً لمن صدّق واتبع من المؤمنين!. ويشهد لها ما بلّغنا به ربنا تقدّس اسمه عن نبيه نوح, إذ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً, لم يذكر الله شيئاً عن "الآية" التي كانت معه, إلا ظاهر دعوته البيّنة, أن الله هو ربهم الأعلى, فلو كانت "المعجزة" –كما يسمونها– أساساً "للنبوة", لما انقضت مئات نوح في القرآن دونما ذكر لآيته وبرهانه!.

ولينتبه القارئ أن "السفينة" ليست "آية" نوح لقومه التي دعاهم ليستدلوا بها, وليعلموا أن لا إله إلا الله, كما هي العلّة في سائر "آيات" النبيين, بل هي لنجاته ومن آمن معه, وللعالمين من بعده, بعدما انتهت رسالته فيهم {فَأَنجَيْنَهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَهَا آيَةً لِّلْعَلَمِينَ}. ثم بدليل أن الله أمره بها, عند انتهاء رسالته في قومه, وبعد أن أعلمه أن لن يؤمن من قومه أحد {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ}.

ونؤصل لهذا الباب بحديث نبي الله ﷺ, قال: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِىَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىَّ، فَأَرْجُو أَنِّى أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فهي "آيات" هاديات كما قال نبي الله محمد ﷺ, وليست خوارق ولا "معجزات", ولا حاجة لتبديل كلامه, فهو أبلغ وأعلم بما أراد وقال, وعلى كل من جاء بعده التبع, من أبي بكر إلى أدنانا!.

ثم الشائعة الباطلة الأخرى, بقول من قال: إن الله أرسل كل نبي بـ"معجزة", من جنس ما اشتهر به قومه!.

وهذه طامة أخرى, تنقلب على نفسها, حال استعراضها والتفكّر فيها!, فهذه "ناقة الله" إلى ثمود!, فإن كانوا يقولون: إن الله أرسل بها صالحاً, فقد أبطلوا زعمهم الأول, إذ قالوا: إن ثمود هم الذين طلبوا "الناقة"!, فتنتقض "الحبكة" التي نسجوها أنكاثاً, إذ ليس الله –بزعمهم– من اختارها, وإنما هو هوى ثمود ورغبتها!. هذه واحدة, والثانية أكبر منها, إذ زعم من نسج "حبكة" الإرسال على الشائع المشتهر, أن عيسى ابن مريم, اُرسل بـ"خلقه الطير من الطين, وإبرائه الأكمه والأبرص, وإحيائه الموتى, وإنبائه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم", اُرسل ابن مريم بهذا كله, لأن بني إسرائيل –كما يزعم إخواننا– اشتهروا بـ"الطب", وحذقوا به!, فنقول أولاً: من أين أتيتم باشتهار بني إسرائيل بالطب؟, فلم يذكر هذا في كتاب الله, ولا في حديث نبيه ﷺ, ولا في "المعتمد الموثق الصحيح" من كتب الناس والتاريخ, ولم نسمع قط, أن اليهود اشتغلوا بشيء واشتهروا به, غير الربا والسحت والفساد!, {ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}. هذه واحدة؛ والثانية: ما علاقة خلق الطين طيراً, بالطب؟, وما علاقة الطبّ, بمن ينبّئك بما تأكل وما تدّخر في بيتك؟, هذا إذا سلّمنا معهم بقصدهم إبراء الأكمه –ويقولون هو الأعمى–, والأبرص!, إذ لِمَ لَمْ يقل: "وأبرئ المرضى", إن كان طباً, كما يزعم إخواننا؟, وما علاقة الأعمى بالأبرص؟, ولِمَ لم يقل: الأعمى والأصم؟, كما هو "المشتهر" بين الناس. ثم, كم من مرض, يهون معه البرص والعمى, ففيها فليتنافس الأطباء المتنافسون!. كذلك, لا يصح زعم من يرى لإحياء الموتى علاقة مع الطب!, إذ ينتهي عمل الطبيب وحذقه عند الموت, فلا حرج عليه ولا عتب, ولا طبّ إلا بذي روح, فإن مات, فلا طبّ ولا غيره, ولا يموت الحي, إلا بأمر الله, وليس المرض ما يميت, ولا الطب الذي يحيي, فلا علاقة, بزعم من زعم!. و"بيّنات" روح الله عيسى أكبر من الطبّ, وأعلى من "التخريق"!, فليتدبر القرآن من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!. وفي موقعنا بيان وتفصيل.

كذلك, زعم من زعم بـ"آية" موسى إلى فرعون وقومه, من أن موسى عليه السلام, جاءهم "من جنس" ما اشتهروا به, وهو هنا "السحر", وهذه هي الطامة الكبرى!, فهم يزعمون بهذا, أن الله أرسل موسى "بشيء من جنس السحر"!!. فلك أن تصدق بعدها, أن هناك من سيفتتن بـ"الحبكة" ويؤفك بها, ليدافع عن الفاجر فرعون, إذ وصف موسى بـ"الساحر"!, {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ. إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ. يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}.

بل كان أولى –على زعمهم وحسبتهم– أن يُرسل موسى بأي شيء, إلا بشيء "من جنس السحر", ولا يشبه السحر في شيء, حتى لا يرمى بما رمي به!.

ثم إن لهم مع "سحرة فرعون" طريقة "مُثلى" مزينة تُخيّل أنها تسعى!, إذ لا تخلو كتب التفسير من حبك موحّد, أن السحرة هم الذين سارعوا إلى الإيمان, لأنهم "أعلم الناس بالسحر", فعلموا أن ما جاء به

موسى ليس بسحر, فأُلقوا ساجدين!؟. ألم يسأل أحد: أليس هذا عين ما كان يجب أن يصير لـ"فصحاء" مكة و"بلغائها"؟, أليسوا هم "أعلم الناس بالبلاغة والبيان؟, فلـمَ لم "يُلقوْا ساجدين" كسحرة فرعون, المسلمين نفوسهم للموت, بسجدتهم هذه على عين فرعون؟؟. ولو كان كذلك, فلم لم يتريث السحرة قليلاً, لعل في الأمر شيئاً لا يعرفونه؟, ألا تعرف كيف يفكّر الساحر المراوغ المتلوي؟, وهل يُعقل أن لا يشذ ساحر واحد جاحد عنيد؟!.

أما نحن, فنقول: لا, و لم يُقرأ القرآن حق قراءته, والقرآن نفسه ينبّئك بخبرهم اليقين!. وفي موقعنا شرح ومزيد.

ثم هل لنا بخبير, ينبئنا بالفارق بين "العصا التي صارت ثعباناً", وبين "الطين الذي طار طيراً", أو بين "الميت الذي قام حياً", أو بين من "أخرج يده بيضاء" —من غير برص كما يزعمون في الكتب-, وبين من يُبرئ اليد البرصاء!؟, ذلك, إن كان الأمر —كما يزعم إخواننا – على جنس المشهور في القوم المنذَرين، وليس كذلك!.

فماذا إذاً؟.

بل الحق, أن يُقال —كما هي البينات من القرآن-, أن الله يُرسل النبي بـ"آية مبْرئة" شافية, للعلّة والخطيئة المخصوصة, والضلالة التي عليها أُرسل لقومه, فتكون لهم "آية, وشفاء, وبصيرة"!, ألم تروا أن الله أرسل إلى سلطان فرعون, بـ"عصا ويد"؟, ألا ترون إلى "العصا" تكون في "يد" السيد السلطان!؟. {وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ}. فراجع موقعنا على الشبكة للتفصيل!.

فإن سألت عن الخاتم محمد ﷺ, فاعلم أن الله ما أرسله بـ"آية" تكون لقومه من دون العالمين, فيكذّبوا فيهلكوا, فأرسله بـ"آية" وحي, ووحي "آية", ليكون "للعالمين" نذيراً!. «مَا منَ الأَنْبيَاء نَبيٌّ إلاَّ أُعْطيَ منَ الآيَات مَا مثْلُهُ آمَنَ عَلَيْه الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذى أُوتيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّى أَكْثَرُهُمْ تَابعًا يَوْمَ الْقيَامَةِ». فإنما "آيته" كلمات حقّ موحاة, من عند "البيت الأول العتيق" وأم القرى, لعباده أجمعين, يعلم البريء من العلّة والضلال, أنها كلمات رب العالمين!, {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}، {إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَلَمِينَ. لِمَن شَاء مِنكُمْ أَنَ يَسْتَقِيمَ}.

ولو كانت "من جنس ما اشتهر به قومه" من الفصاحة والبيان —كما يزعم إخواننا -, لعاد نبياً مخصوصاً, لألسن العرب الأقحاح, وقريحة الشعراء, ثم لانقطعت بركته عن الأعاجم الجهّال, ولحُقّ لغير العرب أن يتمنعوا, ويردوا علينا "آية" النبي, أن جعلناها للبلغاء والفصحاء!, فلا يكاد عامة العرب —عدا عن أعاجمها- أن يدركوا دقائق البلاغة والبيان!.

فرسالته "الخاتمة" للرسالات, أن لا يُعبد إلا الله, و"آيته" على رسالته, "كتاب" فيه أن لا إله إلا الله, ثم {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآناً فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنْزِيلاً * قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا}.

{قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

وقفة لازمة عند "الخوارق", لننظر في لبّ اللَّبس والفساد.

بداية, وجب التنبيه إلى أن ما يصفه الواصفون بــ"الخارقة", -دون أن يــذكر الله الأعلــم ونبيــه ﷺ "وصفهم" هذا-, لهو ما يوجب الوقوف عنده والتريث!, إذ ثمّــة شــيء جعــل إخواننــا "يــصفونها" بــ"الخارقة", ولا شك أنه مجيئها على نحو ليس من طاقة الناس, فــ"اختار" لها القائلون بــ"الخارقة" هذا الوصف –من عندهم- تعريفاً وتقريباً, وإعراباً لما عقلوه وفهموه منها!. ونحن هنــا نبتلــي "فهمهــم" ونراجعهم فيه, ويكفي أن تعلم أننا لا نعلم أحداً من علماء التنزيل والتأويــل مــن الــصحابة الأولــين يشاركهم هذا "الفهم" أو يوافقهم فيه!.وكانت "الآية" بــ"كِبَرها" "المبين", بعضاً ممــا جعــل إخواننــا يتوقفون عند هذا الحد, ظناً أن هذه "الكبيرة" "المبينة" هي عين المقصود من فعل الله!, أي أن يلفــت الله الناس –بظنهم- إلى "قدرته" على فعل "ما لا يقدرون", وينتهي الأمر كله عند هذا "الحــدث الكــبير", دونما عناية ولا معنى, ولا علّة وحكمة!.

والحقيقة التي لا مراء فيها, أن "آيات" الله, جاءت فوق طاقة الناس وما يستطيعون, ولكن ليس هذا المراد منها, فهذا استعراض مجرد لا حكمة فيه, وتعالى الله عن مثلها, ولكن جاءت "كبيرة" من "كــبير" بــالغ أمره!, ولم يكن "الكِبَر" الذي في "الآيات" إلا لاختصار السبيل, وقطع الجدل والمماراة, ولتليــق بعلــوّ الرسالة والمرسل!, فليست الأمثال التي يضربها الرجل الحكيم للناس, كأمثال سائر الناس!, ولو أن هــذا الحكيم يظلّ محكوماً لمحدود من القدرة والعلم, فما تقولون بالله الأعلى الفعّال لما يريد!؟. فمجيئ "الآية" على نحو فوق طاقة البشر وما يستطيعون, إنما هو أول الدلالة أنها من عند الله, -ولم تكن بحال هي المراد بعينه- ولكن لتبلّغهم ما وراءها مما يريد الله!.
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَــهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ..... فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ..... وَأَن لاَّ إِلَــهَ إِلاَّ هُــوَ..... فَهَــلْ أَنــتُم مُّسْلِمُونَ}. ثم بدليل أن فرعون لم ينشغل ولم يُعن بــ"الخرق" والغريب –الذي يسميه القرآن بــ"الكبير" و"المبين"-, بل التفت اختصاراً وانتقالاً واجباً إلى رسالتها ودلالاتها, وما يُراد منها, فقــال {يُرِيــدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ}!.

كذلك كل "الآيات" الأخر, تأتي "كبيرة مبينة" لينقطع الجدل والمراء, ولينتفع ويعلم ما وراءها من العلــم والأمر والحكمة!, وليس أدلّ لمن تدبّر, من "يد موسى البيضاء", إذ لو كان الأمر لمجرد "الخارق" الكبير, لما لزم على الله أن يدخلها موسى في جيبه ثم يخرجها بيضاء!, بل لكانت "أخرق" وأكبر لو "ابيــضت" وهي ممدودة على أعين الناس!, أو أن يبيّض وجهه مثلاً, فتبيض وجه الرسول أولى وأجدى من تبيــيض يده المخبوءة!, وهذا كله على افتراض السعي وراء "الخوارق" كما يصفونها.
ولكن في "إدخال اليد" حكمة, وفي "إخراجها" حكمة, وفي "بياضها" حكمة, {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}. وما جرى على هذه, يجرى على "بينات" روح الله عيسى, وسائر الآيات!, فتدبرها وتعقّلها!. وفي موقعنا شرح ومزيد.

فالذين جعلوا "الخارق" ركناً في "وصفهم", ابتُلوا فيه, أول من ابتُلي, فــ"آيات" الله المــصرّح بهــا في القرآن إلى أقوامها, "آيات" معدودات, هي "ناقة الله" إلى ثمود, و"العصا واليد" ومعها "الطوفان والجــراد

والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات" إلى فرعون وقومه, وما جاء به روح الله عيسى, لبني إسرائيل. إذ عليهم أن يُخرجوا من كل واحدة "خرقاً", ولنا أن نطالبهم بالبراهين من كلام الله, فلا نصدّق إلا ما كتب في كتابه, أو صحّ عن نبيه ﷺ!. وما سوى ذلك فهوعندنا والكذب سواء, لقول نبي الله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»!.

فنسألهم عن "خوارق" الجراد, وعن "خوارق" القُمّل, وعن "خوارق" الضفادع, وعن "خوارق" الدم, وليكفونا "القيل والقال", وروايات اليهود وأساطيرهم؟!.
ونسألهم عمّا جاؤوا به على "آية" ناقة الله إلى ثمود, فخرّقوا لها "الخوارق" تكلّفاً وإفكاً, إذ قد ذكر الله "الناقة" في كتابه سبع مرات, لم يذكر معها –ولا رسوله ﷺ- "خارقة" واحدة! ولك أن توقن أخي أن أهل التحقيق والإسناد يشهدون أنْ ما صحّ عن الله ولا عن رسوله شيء مما "نحتوه", لا خروج الناقة من الصخرة المنشقة, ولا فصيلها الذي نتجته, ولا فخامتها ولا ضخامتها, ولا شيء من هذا البتّة!, فيما تمتلئ بطون الكتب الأمهات, بالكثير الغثّ من هذا!. وسنقف بإذن الله على شيء من التفصيل فيها, وفي "العصا واليد" عند موضعها, وفي موقعنا على الشبكة تفصيل وبيان لمستزيد.

ويكفي أخي, أن تجمع الآيات المعدودات في "الآية المبصرة" ناقة الله, وتجمع ما "صحّ" عن نبي الله ﷺ فيها, –وما صحّ فيه إلا حديثان– لتستبين الحق جلياً, أن لم يكن من "الخوارق" ولا التهاويل شيء, وهاك بيانها:
{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِه نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فأين "الخوارق", والصخرة المنشقة والفصيل؟. ثم قوله تبارك اسمه: {وَيَا قَوْمِ هَـذِه نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ}. فأين "الخوارق", والصخرة المنشقة والفصيل؟.
ثم قوله تبارك اسمه: {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا}, فأين "الخوارق", والصخرة المنشقة والفصيل؟. ثم قوله تبارك اسمه: {مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ}, فأين "الخوارق", والصخرة المنشقة والفصيل؟.
ثم قوله تبارك اسمه: {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا * فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا}, فأين "الخوارق", والصخرة المنشقة والفصيل؟. {إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}, فهذه ستة مواضع في الكتاب العزيز, ليس فيها, ولا في سنة النبي ﷺ, "خارق" مما "تكلّفوه"!.

فماذا يقولون, ومن أين أتوا أصلاً بتلك الروايات الباطلة الفاسدة, ولمَ نقلوها ولمْ يتحققوا منها, حتى صدقها الجهابذة الراسخون من العلماء؟. ألم يقرأوا قوله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». فمن "وصف" لك من أمر الناقة شيئاً لم يذكره القرآن, فسَلْه برهانه من كتاب الله وحديث نبيه ﷺ, فإنما هي "آية" الله, ولا يجوز فيها العبث واللغط, ولو كان المتحدث فيها راوية الرواة, فإنما هي غيب, ولا يعلم الغيب إلا الله!.

وما بقي الناس على القول والإيمان بما سموْه بـ"الخوارق المعجزات", فلْيعلموا أنهم ملاقوا "الدّجال", فمخرجٌ لهم من "الخوارق" ما يعجبون, وليعجزنهم عن الحق "إعجازاً", فإن كان هذا ما بنوْا عليه دينهم, فتلك فتنة الفتن, وذلك يومها, وكربها المبين!.

الخرق في حق الله عيب وأذى!.

كذلك, اعلم أن فعل "الخرق" من ذاته ليس فعلاً محموداً ولا كريماً, بل إن القرآن استعمله في المعيب الشائن, {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}, حتى إذا جاء الخضر يبين لموسى عن "الخرق" فسمّاه "عيباً", {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا}.

كذلك, ألا يكفي أن تذكر أن الناس إذا عابوا رجلاً نعتوه بـ"الأخرق"؟, أثمّ ننسب "الخرق" و"الخوارق" لله, الذي لا يفعل إلا بالحكمة والتدبير المُقدّر تقديراً؟. ولو أنهم قالوا: إنها أمر "غير" العادة, أو "فوق" العادة, لكن أهون شراً وانحرافاً!, ولكن انظر إلى "التوصيف" المختلق كله, كيف تضطرب ألفاظه ودلالاته, وتتضادّ مع المشيئة والحكمة البالغة, ومع ما تركنا عليه نبي الله وأصحابه ﷺ!.

فأفق –يرحمك الله– وتبيّن, وإيّاك ومن خلط للناس دينهم المنزّل, بدينه المُأوّل!. فالدين المنزّل وحْيٌ حق, والمأول ظنٌ وتخييل. ولا "خارقة" إلا في ظنّ أصحابها, أما في "الوحْي المنزّل" فلا, ولا يخلط بين "المنزّل" و"المأوّل" فيسويّهما للناس إلا سّاحر دّجال, فانتبه!.

لو أراد الله أن يَهدي عباده بـ"الخوارق", لأنزل من هذا, ما هو أبلغ برهاناً, وأوقع أثراً وسلطاناً {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}.

والذين ابتدعوا "الخوارق والتهاويل" وارتضوْها شرطاً, أعجبتهم الغرائب, وغفلوا عن حكمة "الآيات"!.

كما بيّنا, فليس في كتاب الله لفظ "الخوارق" أبداً, ولكنها تكلّف وتكييف من أصحابها, وتوصيف مركّب, وليست من كلام النبي ﷺ وأصحابه, فلا تشغلك بشيء!. ألا يكفي أن تعلم أن القرآن لا يستعمل جذر "الخرق" في حسن محمود أبداً, حتى نصيّرها نحن تاجاً من تيجان الدين؟.

ثم إنهم اكتفوْا بـ"الخرق" لذاته, و لم يُعنوْا بالحكمة فيه وبالعلّة, من أجل ذلك أقاموا على هول "الخارقة", فأحدثوا لها, وبالغوا وغلوْ فيها, فلم تخلُ "آية" من الآيات التي أرسل الله بها, من التحريف والعبث والإفساد, لتصدق عندهم بدعة "الخارقة"!, فهذه "آية الله المبصرة", "ناقة الله" إلى ثمود, و"الآية الكبرى" إلى فرعون, من "العصا والثعبان, واليد البيضاء", و"الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم", لم تسلم جميعاً من التحريف والعبث والغلوّ, كما يُقرّ ويشهد أهل التوثيق والتحقيق المستأمنون!.

فكان لزاماً على المؤمن المدّكر, أن يُصغي إلى ما تدعو إليه حكمة الحكيم تقدس اسمه, وراء اصطفائه لهذه "الآيات"!. فكان عليه أن يتدبر في "الحكمة", أن أرسل الله "الناقة وسقياها" إلى أمّة تعبد أصناماً من دونه؟. فيسأل من نفسه: ما الجامع بين "الكفر" و"الناقة"؟.
هذا إذا علمت أن الله هو من اختارها "ناقة", وليس كما شاع كذباً, أن ثمود اختارتها "ناقة وصخرة"!, بشاهد قوله تقدس اسمه {فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ}. فالله هو من اختار, وله الخِيَرَة, وعلى ثمود العبرة!. كذلك اعلم, أن ما ذُكر عن "الخوارق والتهاويل" مع الناقة, من "الصخرة" وما شابهه, كله تلبيس مفترى, يشهد خلوّ القرآن منه بذلك!. فليست إلا "ناقة وسقيا" كما كتب الله!.

كذلك, كان لزاماً على المؤمن المدّكر, أن يُصغي إلى ما تدعو إليه حكمة الحكيم تقدس اسمه, وراء أن يختارها الله "عصاً", ثم يختاره "ثعباناً"!؟, ثم "الحكمة" أن يترع موسى "يده", فتخرج "بيضاء", أمام فرعون؟. أي ما الجامع بين كفر أكفر الخلق, وبين "اليد البيضاء", هذا إذا علمت أن ما ذُكر عن ضوئها وبريقها ونورها, افتراء كله, ما صحّ فيه عن الله, ولا عن نبي الله ﷺ شيء!.
ثم لم يقل لنا إخواننا, أيها أعظم خرقاً وأشد تهويلاً, بحرٌ ينفلق فِرقه كالطود العظيم, ثم يمتد يبساً, أم "يد بيضاء" للناظرين؟. وفي موقعنا على الشبكة جوابها المفصّل.

فيما "ابتدعنا" بأيدينا, من "الخوارق" والتهويل, تلبست علينا "آيات مبصرات", تقلّبت عليها أفئدتنا وأبصارنا, أن لم نتبعها كما أُنزلت أول مرة!. {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

تحقيق في قولهم: "معجزات" الأنبياء جاءت حسيّة, وانتهت بانتهاء عصرها!.

فرغنا من بطلان القول بـ"المعجزة الحسية", بما أسلفناه!, والتحقيق هنا, بقولهم بـ"انتهاء المعجزة بانتهاء عصرها", كما يقول أصحابها!.
ونقول: إن مجرد نزول الوحي بذكر "آيات" الأنبياء الأولين في القرآن, فذلك يخلّدها ويفرضها حيّة من جديد, كلما يُتلي القرآن, أو يُنظر فيه!, فهي خالدة بخلوده, حية بحياته, وهي بعض منه, ومن سوره وآياته!. فما نتلوه عن ثمود وعن فرعون, وعن "الناقة" و"العصا", هو القرآن بعينه!, وصارت به قرآناً, لها حكم القرآن, وَحْياً وبقاءً, لا تنفكّ عنه, ولا تفترق, فهو قرآن بها وبأمثالها, وبما يوحى به عن نوح وعاد وثمود وفرعون والذين خلَوْ من قبل!, فكيف يُعقل أو يُقبل الإيمان بمقالة انقضاء "الآيات", وهي تتلى اليوم حية, بكلام الحي, علاّم الغيب والشهادة!؟.
ثم ما الفرق, بين من يؤمن اليوم بالقرآن, وهو لم يشهد النبي ﷺ ولم يشهد الوحي والتتريل, وبين من لم يشهد "الناقة" و"العصا" و"آيات" الكلمة ابن مريم, وآمن بها؟, ثم جاءه القرآن خبراً متواتراً, عن القرآن نفسه, وعن "آيات" الأنبياء الأولين, فصدّق به وصدّق ما فيه عنها!؟. وما بال الأعمى الذي حضر "العصا والثعبان" ولم ير شيئاً؟, أليست حجة عليه, إن سمعها ممن شهد وحضر, وتواطأوا عنده على الخبر العيان!؟. وما الفرق بينه, وبين من جاءه القرآن بها وحياً يقيناً, بعد انقطاع القرون الخالية!؟.
فما دام القرآن يتلى بين أظهرنا, فهي منه, وهي مثله, باقية بين أظهرنا!, بل القرآن هي, وهي من القرآن!. {وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى}!, ولا نقول كالذين جعلوا القرآن عضين, وهجروا "آياته" "المبصرة والكبرى", واشتغلوا بنحتهم وحبكهم, حتى إذا جاءت

تذكّرهم بأيام الله, قالوا هذه "آيات" الأولين, فما تنفعنا, وما تعنينا, وقد انقضت وانقضى أصــحابها!؟, كمن {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَتُنَا قَالَ أَسَطِيرُ الأَوَّلِينَ}. فالأصل في المؤمن الكيّس العقول, أن يشتغل بها أكثر من اشتغاله بفروع الفقه ومذاهب الرجال, إذ عليها أقام الله الدين, وأهلك القرى!.
فـ"الناقة" "آية" لثمود, وبترول القرآن, صارت الناقة وثمود وصالح, آية لنا, والعصا "آيــة" لفرعــون, وبترول القرآن, صار فرعون والعصا وموسى, آية لنا, وكذلك كل ما نزل عن كل من سلف, آية باقية, وحكمة مستمرة, جمعها القرآن كلها, لا تنقضي ما بقي الدهر!, من ما قبل آدم و"الأسمــاء", إلى يــوم يقضي الله الأمر في الآخرة!. أليس هو الكتاب التذكرة {كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}.

ولئن كان "العصر والحضور" هو الفيصل الفارق بين "آية" القرآن, وبين "آيات" الأولين –كمــا يــزعم إخواننا –, لكان من حضر موسى ساعة ألقى العصا, دون أن يراها بعينه, فسمعها ممــن شــهد ورأى, لكان هو ومن يقرأها اليوم من القرآن سواء, ولسقط فارق "العصر" و"المحسوس"!, بل لجزمنــا أن مــن قرأها من القرآن فهو أحفى بها وأعلم وأبصر!, إذ لعل من نقل للأول الذي حضر موسى والعصا, قــد ضيع منها بعضاً, أو غفل وجهل عن بعض!, أما القرآن فجامع العلم والحكمة والخبر اليقين, ممّن لا يضل ولا ينسى!. فهو حديث من خلق وسمع ورأى, تمجّد سلطانه {قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}, {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ}, ويبقى فضل المعاينة والحضور, قائماً لمن يعقل ويُدرك, ولا فضل فيه لمن لا يعقل ولا يدرك {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَت لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}!, وكالفضل بين من شهد تتريل الــوحي على نبي الله ﷺ, أو سمعه من فمه, وبين من أسلم يوم موته ﷺ!, فالعلّة فيمن عقل, لا فــيمن حــضر, بشاهد قوله ﷺ: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»!.

ألم يكفر بالقرآن وبــ"الناقة" وبــ"العصا", قوم حضروا ورأوا, ثم آمن بها قوم ما رأوا, ومــا كــانوا في الحاضرين!؟. {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَت اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُون}, فوضح أن القول بــ"العصر والانقضاء", قول مختلَق مختل, يكفيه أنه ليس من عند الله ولا نبيه ﷺ!.

ويبقى أن القرآن "خبر وحي يقين" يُقرأ ثم يعقل!, وكذلك سائر "آيات" النبيين, إن أنت قرأت القــرآن فعقلت, صرت ومن حضر "العصر" ورآها سواء, ولا فرق أبداً بينك وبين من فاتته "آية" موسى بلحظة, فسمع وسمعت، وهي عليك وعليه حجّة لازمة!, أو لعلك –إن عقلت الآية– تبصر بها ما لم يبصره مــن رآها!, بل إننا نشهد, أننا سمعنا عن "آية" موسى أكثر مما رأى فرعون, إذ قص القرآن علينا الآيات مــن ساعة بدأ الوحي لموسى ولأم موسى, إلى غرق الهليك!, فعلمنا هذا كله, وجهله فرعون ومــن حــضر منهم!. {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا}!؟.

فلا يصحّ بهذا, الترسّل في القول بــ"المعجزة الحسية المنقضية عصرها", فهذا أولاً وأخيراً فهم مُحدث, لم يقله أركان أهل التأويل, ممن حضروا نبي الله محمداً ﷺ, ولم ينشأ إلا في عصور الفلاسفة والنسّاخ, فالحق مع من تركه وأخذ بأم التتريل, ورجع إلى الصالح مما كان عليه أُولو الأمر والعلــم الراشــدون, ولا إثم عليه!.

ويسأل سائل:

ما الدليل على عدم جواز استعمال "المعجزة" و"العقيدة"؟.

ويقول قائل: إننا نشهد أن "المعجزة" و"العقيدة" لم ترد في الكتاب ولا في السنة, ولكن العلماء "اصطلحوا" عليها وقبلوها, فما المانع إذاً؟.

نبدأ بسؤال من سأل عن الدليل على عدم جواز استعمالها, فنقول: ليس المنع في ذات أحرف تلك "المصطلحات"!, أي ليس المنع لأجل حروفها ولفظها ومحلّها في لسان العرب, ولكن المنع في محلّها, الذي أُحدثت فيه معنىً ودلالة, في عظيم الدين!, وفي تجاوز هذه "المصطلحات" وتعطيلها وتأخيرها وتبديلها للثابت من كلام الله ونبيه ﷺ!, فكل "تبديل" لثابت صريح من النبوة والكتاب, فهو باطل لا خير فيه!, فإذا تبيّن حالها وواقعها, تبيّن حكمها!, فواقعها هو التبديل لثابت الدين, فحكمها بهذا, حكم حالها وأمثالها, من "التبديل" والإحداث والبدع!.

وفوق هذا كله, الآية المجيدة {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}. فهذه الآية عندنا بيّنة صريحة, لا نخالفها ولو اجتمع على خلافها الثقلان!.

ثم نقول: ما المانع يا عباد الله, أن نلتزم كتاب الله, ونستمسك به, بدل التفلت والانسلاخ منه, والتبرّك بغيره؟. ألا تعلم أن هذا ما ختم به نبي الله ﷺ, وصالَحَ الناسُ عليه علماءهم؟. ألا تعلم أن هذه هي وصية كل ذي علم صالح, أن يؤخذ بقول نبي الله ﷺ, ويُترك قول الرجال, كائناً من كان؟, ألم يُعلّم العلماءُ الناسَ, أنّ كلاً يؤخذ من فمه ويُترك, إلا رسول الله محمد ﷺ!؟.

وهل وصّانا نبينا ﷺ, بالتمسك والعض بالنواجذ, أم بالتفلت و"الاصطلاحات", والتشدق والتفيهق, والتنطّع المفسد في الدين, كما جاء عن ابن مسعود صاحب نبي الله ﷺ: "إياكم والتنطّع والتعمّق والبدع, وعليكم بالعتيق!.", و"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم!, وكل بدعة ضلالة", و"أيها الناس إنكم ستُحدثون, ويُحدَث لكم, فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول"!.

فإن كنت مجتهداً فبما ثبت وصحّ عن نبيك محمد ﷺ, ودعك من التقوّل المحدث, فهكذا عقلها ابن مسعود صاحب نبي الله ﷺ, فقال: "الاقتصاد في السنة, خير من الاجتهاد في البدعة"!.

وأسئلة كهذه, ليست من خُلُق المؤمن المستمسك, فلا يتفلّت المؤمن, ولا ينسل ولا يتسلل من كلمات ربه ونبيه ﷺ, ولا يجعل أحداً بمكانة النبي ﷺ, ولو كان شيخاً إماماً, {لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً, قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً, فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

واعلم أن الخير الحسن, فيما تكلّم الله به, وتكلم به نبيه ﷺ, وما سواه فدخن مختلط أمشاج, ولو خلته حسناً!. كما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كل بدعة ضلالة, وإن رآها الناس حسنة"!.

فلا يسأل عن إذن لـ"المعجزة", إلا من يبحث عن مخرج من الاستمساك بكتاب الله, ليقول ما لم يقله الله ولا رسوله ﷺ!.

ولو عرضنا السؤال عرضاً آخر, لقلنا: أيهما الأصل الأوْلى؟, أن تبقي كلمات الله على حرفها وحالها, استمساكاً والتزاماً, أم أن نسعى إلى تبديلها و"الاصطلاح" على غيرها!؟. فالآخذ بالأولى, مؤمن متعبّد,

والآخذ بالثانية معتد متمرّد, رَغب عن كتاب الله, واتبع هواه, فلا حجة له, حتى يهديه الله!. {خُذُواْ مَا آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ}.

ولطالما احتج أقوام يدّعون التمسك بالكتاب والسنة, بمثل حججنا على من ابتدع وبدّل, و لم يقبل "المتمسّكون" من خصومهم -بعد شهادة خصومهم وإقرارهم, بطهارة النبوة والكتاب من بدعتهم وتبديلهم-, لم يقبلوا منهم أن يقولوا: "ولكن"!, فهذه الـ"ولكن", مفتاح التبديل والتنطّع والتحريف, وأول الضلال, ألا تذكرون قوماً غلوْ في دينهم, فبدأوا بـ"لكن" حتى صار واحدهم ثلاثة, وثلاثتهم واحداً!. {انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ}.

ويذكّرنا أصحاب هذا السؤال, -المستأذنون للـ"المعجزة" و"العقيدة"-, بما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما, لمن استدل بقول الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما, بعدما بيّن لهم ابن عباس قول نبي الله ﷺ, إذ قال لهم: "أراهم سيهلكون, أقول: قال رسول الله ﷺ, ويقولون: قال أبو بكر وعمر"!.
فإن لم يُجزء قول الصديق والفاروق, بعد قول نبي الله ﷺ, فبقول من يُستدل بعدهما من العلماء, فوق قول نبي الله ﷺ؟.
فإياكم ومن يستجلب أقوال العلماء, ليدحض بها حجة من أتى ببيّنة من كتاب الله, أو نبي الله ﷺ, فلا يُحتج لملة المسلمين وشريعتهم, إلا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ, ومن احتج في دين الله, من غير دين الله, -كتابه ونبيه ﷺ- فقد اعتدى على دين الله, وغش المسلمين, {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}, ومن استدل بكتاب لم يكن عند رسول الله, ولا يعرفه أصحابه, فكأن لم يأت بشيء, فإنما الدّين عن ربٌّ ونبي, وما بعده فعباد تُبّع!.
ويشهد لها قول نبي الله ﷺ: «أَلاَ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُتْلَى الْمَثْنَاةُ فَلاَ يُوجَدُ مَنْ يُغَيِّرُهَا. قِيلَ لَهُ: وَمَا الْمَثْنَاةُ؟ قَالَ: مَا اسْتُكْتِبَ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ»!. مات مسيلمة الكذاب, وكفى الله المؤمنين الفتنة.
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}.

ويسأل سائل:

هل يوجب هذا ترك كل كلمة لم ترد في الكتاب أو في الحديث؟, فلا يزال عندنا "مصطلحات" صالحة اللفظ والمعنى, وليست من الوحي, كتاباً أو حديثاً؟.

نقول: لا, وليس هذا ما ندعو إليه, ولا يقول بهذا عاقل, و لم يأمرنا ربنا تقدس اسمه, ولا نبيه ﷺ بهذا!.
بل نقول: كل ما نزل من الكتاب والسنة, فلا يجوز تبديله, فهو ثبتٌ وقفٌ, لا ينبغي لأحد, كائناً من كان, أن يُغيّره, أويبدّله, أو يصطلح معه, أو دونه شيئاً!. فكما تبقى الصلاة صلاة, والحج حجاً, والكعبة كعبة, فلن تصير الآية "معجزة", إلا بسحر ساحر, فاستمسك, نفعك الله!, فهل تستوي كلمة الله, واصطلاحة العبيد!؟. {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}.

فكل مفردة ولفظ, ليست بديلاً لثابت من الوحي، ولا تخالف "أصلاً ظاهراً" في الوحي المنزّل, سنةً أو كتاباً, ولا تُزاحمه ولا تدافعه, وتخدم معنى معلوماً أثبته الله ورسوله, فلا بأس به!, وما خالف الوحي,

فباطل مردود, لا ينبغي التوقف عنده, ولو ملأ كتب المسلمين جميعاً, فلم يُبعث نبي الله ﷺ, بغير هذا القرآن, وما مات عليه ﷺ!.
و"المعجزة" و"العقيدة", مثل صريح, للفظ الفاسد الذي يدافع كلِمَ الوحي, فاتقوا الله, وذروا ما بقي منها!.

قولهم: إن"المعجزة" في معاجم العرب, من معاني "الآية", فيصح على هذا استعمالها!.

نقول ابتداء: هذه المعاجم مما استكتب بعد عهود من النبي ﷺ, ولا تخلو من اللحن والخطأ, و لم تكن يوماً من مراجع الدين، وإلا لصارت كصحيح السنة والقرآن, و لم يقل أصحابها بـ"المعجزة" إلا استنساخاً واتباعاً لمن سبقهم في الزلل. ويبقى القرآن, هو حجة الله المهيمن على العالمين, وليست معاجم العرب.

كذلك لا نعلم عاقلاً, من علماء العربية واللسان, يقول: إن بطون العرب الأقحاح, تستعمل "المعجزة" و"الآية", مترادفتين لمعنى واحد!. فلا يلتفت لمن قال خلاف هذا, وعليه البيّنة والبرهان بالمعروف!.
ثم نقول: ليس أعلم من نبي الله ﷺ, بلسان العرب ولسان القرآن, ولو كان للـ"المعجزة" محل مأذون, لجرت على لسانه الأطهر, وعلى عامة المسلمين مثل ما على علمائهم, من تمام الطاعة له ﷺ, دون تنطّع ولا تشدّق!.
حتى وإن استعملها العلماء بعد النبي ﷺ وأصحابه, فليس في هذا حجة أبداً, بل ما زال العلماء مسؤولين أمام الله, عن كل كلمة وقول ورأي, فللعلماء الحق في الاجتهاد فيما خفي وعسرعلى العامة, أما ما ثبت وتبيّن, فلا اجتهاد ولا مزيد ولا نقصان.
ثم اعلم أنه لم يُروَ عن أقحاح الجاهلية, استعمالهم "المعجزة" حيث يُراد "الآية" و"البينة", أثمّ نتّهم بها النبي ﷺ, وعلماء الصحابة ونجباءهم!؟.

قولهم: إن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِى عَلَى ضَلاَلَةٍ», و"المعجزة" و"العقيدة", محل إجماع, فلا حجة في ردّها!.

نقول: لا يصحّ فهم الحديث على ظاهره المطلق, بل هو مقيّد بشروط الشريعة والدين, ويشهد لها, ما عليه عموم أمة النبي ﷺ اليوم, من "الفرقة" و"الاختلاف" و"القعود" وكثير من البدعة والهوى والفساد, فهل في الحديث إجازة للأمة على حالها, وحِلّ للفساد، فها هم يُزخرفون المصاحف والمساجد وقد نُهوا عنه، وأشياخهم بين ظهرانيهم!؟.
وهل نقبل فهم من فهم من هذا الحديث "صحة" حال المسلمين, وهداهم إطلاقاً على ما هم فيه!؟.
فثبت إذاً, أنّ الحديث له فقهه ومحله المخصص, يقيّده الثابت المحكم المعلوم, من شرط هيمنة النبوة والكتاب, على المجمل والمفصل, من أمر المؤمنين!.

فممّا هو شائع معلوم عند من يعلم شرائط "الإجماع", أنّ "ما لا يُعلم فيه خلافٌ, فليس إجماعاً"، فانتبه!.

و"المعجزة" و"العقيدة" –بأحسن أحوالها–, ممّا يظن الناس أن لا خـــلاف فيهـــا, فليست بذلك إجماعاً ولا شيئاً منه، بلّ لا تعدو أن تكون ممّا شاع خطأً وباطلاً. على شدّة التزاع بين الفقهاء أنفسهم, على ضوابط "الإجماع" وسماته ومقتضاه!.

ثمّ, إن "أُمّة" النبي ﷺ, لا تنحصر في عصر دون آخر, بل هي قائمة من بعثته ﷺ إلى قيام الساعة, وابتداءً لازماً من "قرنه" الذين حضروه!, فأيما إطلاق لدلالة "الأمة" على علاقتها بــ"الإجماع", وجب له حضور "قرنه" الأوّل الأصلح, ولا يتم "إجماع" "الأمة" –بشملها كله– إلا وهم على رأسه!.

فلعمرو الله, كيف يصير القول بما يسمى "المعجزة" و"العقيدة" إجماعاً, وقد خلا برمتـــه مـــن "جميـــع" أصحاب النبي ﷺ, و"جميع" التابعين, و"جميع" تابعيهم!؟. فإن يكُ هذا "إجماعاً" لا محالة، فهو إجماع على مخالفة من لا يحلّ خلافه!.

ثم, وهذا ما وجب التنبيه فيه, إذ ليس "الإجماع" ما ألفى عليه الناس حالهم وآبـــاءهم, فـــشاع فـــيهم فتقبّلوه!, فهذا إيلافٌ و"شيوع", وليس إجماعاً!.
فإذا توارد الناس في صعيد, فكثروا فيه, فهذا "جمع" من الناس, فإذا تنادى "جمعهم", فهذا "اجتماع", فإن استعرضوا في "اجتماعهم" أمراً فتناظروه وتباينوه فأقروه واصطفّوا عليه, فهـــذا "إجمـــاع", {فَـأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى}. فلا يكون "إجماع", حتى "يجتمع" "جمع" النظّار مـــن النظراء وشركاء الأمر والمسألة, فلا ينفضوا إلا باليقين البيّن, فإن غمّ عليهم فلا يصحّ "الإجماع"!.
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَـى اللّـهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِـرُونِ}, أمـــا "المتابعات" و"التلقّيات" المستنسخات, –كما هو حال "المعجزة" و"العقيدة"–, فـــشيء آخـــر, فـــراعِ الفرق!.

وإنما "الإجماع" ما استُعرض من خلاف, فعُرض على جماعة أهل العلم "جميعاً" –ولا بد من "الجميـــع", ليتم شرط الإجماع!, فإجماع علماء الشام مثلاً, ليس إجماعاً مفروضاً, ولا ملزماً لعلماء المغرب أو الحجاز أو غيرهم، حتى يُقرّوهم عليه!, ثم يُنشر–بعد "اجتماعهم– محل الخلاف أمامهم, "فيجتهدون" فيه وسعهم وعلمهم –على شرط النبوة والكتاب–, فما هُدوا إليه بعد هذا, جاز أن ينشر في المسلمين, فقهاً معصوماً من الضلالة,–بإذن الله– تحت ظل حديثه هذا ﷺ!.
أما ان يقول عالم ما, بقول ما, فينسخه عنه أصحابه, ثم يتناقله الناس بعدهم, أمّة بعد أمّة, ويـــسترسلون فيه, حتى يغدوَ عُرفاً, ومشعراً حراماً, بظنّ ثبوته في الدين الأول, فيقول قائل بعده: إن هذا إجماع معلوم, وفقه متفق!, فهذا هو التلبيس والتزوير, والزلل المبين!.
وإلاّ, فالجماعة ما وافق الحق, وإن كنت وحدك, كما شهد ابن مسعود صاحب رسول الله ﷺ.

وهذا عين ما جرى في "المعجزة" و"العقيدة", نطقها من نطقها –ولا يُعلم الخفي المجهول–, ثم ثنّـــى بهـــا غيره, ثم شاعت فتقبلها الناس بقبول حسن, وضامن كفيل!.

وما كان كذلك, وجب تسميته "شيوعاً", وليس "إجماعاً", فليس كل "شائع" إجماعاً, كما بين شـيوع الشرك, وملة إبراهيم ﷺ, فانتبه!.
فلن يقبل أهل النبوة والكتاب, أن يشاع أن "المعجزة" و"العقيدة", "إجماع", حتى تجثـو أمـام شـرائط "الإجماع" التي خلت, فتحاكم وتساءل!.
بعدها نجزم, أن الله لن يُضل بها "الجماعة", فهي فرية مفضوحة نَكِدة!.

قولهم: إن القاعدة الفقهية تقول: "لا مشاحّة في الاصطلاح", فما قياس "المعجزة" و"العقيدة" على هذه "القاعدة"؟.

أولاً: معنى هذه "القاعدة" على قصد أصحابها: أن لا نزاع ولا تشدّد في الاصطلاحات والتسميات, فأيّما تسمية تؤدي المطلوب, فهي مقبولة صالحة, بحسب زعمهم!.
وهذه القاعدة, "لا مشاحّة في الاصطلاح", أو"لا مشاحّة في الأسامي" –كما عند بعـضهم-, هـي في نفسها "مصطلحة", يلزمها ما يُجيزها, ويأذن لها, حتى تقضي وتعمل بعد ذلك في دين الله!, فلم تنزل في كتاب, ولم تبلغنا عن نبي!. ولا ينبغي أن يُحكم المسلمون بغير نصوص الوحيين ومتونهـا, ولا تـساوي "مصطلحات" الإخوة العلماء, حديثاً واحداً لمحمد ﷺ, ولا ينبغي لها!.
ويكفي أن تعلم أن العلماء أنفسهم مختلفون في مداها, تقييداً وإطلاقاً!, فهي ليست من الثابت المعلوم في الدين, -كما يشيع لها بعض الدارسين-, بل تسودها وترأسها آيات الكتاب وأحاديث النبـوة, فأيّمـا "مصطلح" خالف أحد الوحيين, نُبذ ورُذل!.
كذلك اشترط العلماء أنفسهم عليها, أن لا يكون فيها مفسدة!. فأي مفسدة أشد من مغالبة كلمـات الله, والتقدّم عليها, ودخول السوء إلى قدُس الكتاب!؟.
و"المعجزة" –كما فصّلنا-, تخالف جهاراً مفضوحاً, كلمات الله في التنزيل, بل وتعارضه وتفسد فيـه, فيسقط الاستدلال بقاعدة "المشاحّة والاصطلاح" هنا, شريعة وديناً!.

ثم إن هذه القاعدة "المصطلحة" نفسها, مردودة –فيما يخص القول بـ"المعجزة" و"العقيـدة"-, بقاعـدة "مصطلحة" أخرى, اصطلح عليها العلماء أنفسهم, أمتن وصفاً, وأصدق قيلاً!. إذا يـصطلحون أن "لا اجتهاد في مورد النص", أي لا اجتهاد فيما نزل في صـريح مـن الكتـاب أو النبـوة!, و"المعجـزة" و"العقيدة"–بأحسن ظن بهما, وليستا كذلك- "اجتهاد" وخلاف لما نزلت بها صـريحات "النـصوص" والمتون, لا نصاً واحداً!. فهذه "القاعدة" الثانية, تبطل قاعدة "المشاحّة" و"الاصطلاح" جملة وتفصيلاً!.

ثانياً: لا بأس من "اصطلاح" المصطلحات, واختلاق الأسامي, لكل مُحدث مختلق لا اسم له, فيـسميه صاحبه الأول الأوْلى, بالأصح الأنسب!, كأن نخترع آلة ما, لم تكن من قبل, أو نكتشف شيئاً غريباً لم يكن من قبل, فلصاحبه "المخترع" أو "المكتشف", أن يسميه بمـا شـاء, أو أن يجمـع لـه الجمـع, فـ"يصطلحوا" معه على ما يشاؤون!.
أما تسمية المسمّى, وتعريف المعرّف, فهو شططٌ مترف, وتعدٍّ فجّ!, فما سبق وسمّاه الله في كتابه المحفوظ, واتّبعه نبيه الأمين, فلا يضيف بعده, ولا يصطلح معه, إلا معتدٍ مفسد!. {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}.

فأسماء الله, وأسماء أنبيائه, وأسماء كتبه, واسم دينه, أسماء موقوفة على الله تقدس اسمه, لا يحل لأحـــد أن يُحدث فيها, ولو كان صدّيقاً نبيّاً {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}.

فها هي أسماء الله تسعة وتسعون اسماً, فليصطلحوا لنا اسماً, يتمّون به مائة!؟. ثم, ليصطلحوا لنا اسماً, غير "الصلاة", و"الحج", و"الزكاة", "والصوم", إن كان الأمر بهذه السعة, ولم يكن "مشاحّة" فيها, إن كانوا صادقين!؟.

فلا حجة بعدها, لمن قال: "لا مشاحّة في الاصطلاح", بل المشاحّة كلها, والمنازعـــة, مـــع مـــن بـــدل وحرّف!. أعبث في متون الدين, وما نزل محفوظاً مختوماً من عند العرش!؟, فليـــذهبوا فليـــصطلحوا في بضاعتهم, وفيما يخلقون, وليدعوا لله دينه وكتابه, إن كانوا مؤمنين!.
فبعد ما كتب الله وأنزل, فلا "اصطلاح" ولا غيره, وليس هذا "اصطلاحاً" محموداً, بل هو المذموم مـــن التبديل وتحريف الكلم من بعد مواضعه!.
كذلك, لا يعنينا البتّة, إن كانت تصلح كـــ"مصطلح", أو لا تصلح, ولسنا مضطرين لها ولا لغيرها بحمد الله ونعمته,إذ عندنا خير منها وأطهر وأحكم, مما أملاه الله علينا نبوة وكتاباً!. ولا يعنينـــا إلا الخـــضوع والرجوع إلى "الكلمة" المقدسة العليّة, تعبّداً, وديناً!. {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}.

فإمّا أن يُقرّ القائلون بـــ"المعجزة" و"العقيدة", أن كلمات الله وتسمياته أصدق وأحسن.
وإمّا أن يغلُوا فيقولوا: إن الذي "اصطلحناه" مساوٍ تماماً لكلمات الله!.
وإمّا أن يعتدوا فيقولوا: إن مصطلح "المعجزة" و"العقيدة", أصحّ مما قاله الله!, ولا تعجب, فثمّ من قـــال بمثلها من "مشيخات" الدارسين!.

فإن اختاروا الأولى, فقد انقطع الخلاف, ووجب المصير إلى كلمات الله, لقوله تقـــدس اسمـــه {الَّـــذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَبِ}, ولا يدَع الأحـــسن إلى الأدنى, إلا جاهل, أو مستكبر في قلبه مرض {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}.
وأما من اختار الثانية, فقد جعل لله نداً, يقول كما يقول ربه, ووبالها عليه!.
وأمّا من اختار السيئة الأخيرة, فليس من الله في شيء!.

ونذكّر الدارسين, وأهل العلم, بـــ"فتنة" الإمام, الذي راوده "خليفة المـــسلمين", و"علمـــاء" عـــصره, ليُتابعهم على "بدعتهم", و"اصطلاحهم" أن "القـــرآن مخلـــوق", فثبـــت وأبى!, وحجتـــه علـــيهم "أن يستمسكوا" بما قاله نبي الله ﷺ, و"أن يمسكوا" عمّا لم يقله ﷺ!. فأبى أن يزيد على قوله: "القرآن كـــلام الله, ولا أزيد"!, فما زال عند العلماء بها, عَلَماً ومثلاً صالحاً مرجوّاً!, فما بالهم انقلبوا على ما يُعلّمـــون ويؤمنون!؟, فهذه كتلك, والقول بـــ"معجزة القرآن", كالقول بـــ"خلـــق القـــرآن", ولا حجـــة لمـــن يُماري!. فعجباً لمن انقلب على نفسه!.

فنقول بما كان يعجب الدرّاس المتعلمين, نقول: "القرآن, آية, أو بينة أو برهان, أو ما نزل به الكتاب, ولا نزيد"!.

فهي جلية أخي, كضاحية الشمس, ولا يَلبسها على الناس إلا ساحر, يُخيّل للناس أنها صالحة تسعى {وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}.
{اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}.

يقول قائل: هذه "المصطلحات" المُحدثة, كسائر المصطلحات "العلمية", من علم "مصطلح الحديث", و"أصول الفقه" وما شابه, كلها مُحدث, ولكنه من "لوازم الدين"!.

فنقول: شتان بين المثلين, فقولهم "الحديث", وقولهم "الفقه" ليس كقولهم "المعجزة", وقولهم "العقيدة"!. فـ"الفقه" و"الحديث", كلمات وأسماء نزل بها القرآن, ونطق بها وحي النبوة, كقوله ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ». فهذا شاهد ثابت من صريح النبوة.
أمّا ما "اصطلح" عليه أهل العلم في "الحديث" –أكرمهم الله–, من موازين القياس, ليميزوا الخبيث من الطيب, والصدق من الكذب, على عُرف بينهم, هم فيه طرائق, وليسوا سواء, منهم من تشدّد, ومنهم من تخفّف, وأعدلهم الذي شهد له العدول الأمناء!, ويبقوْا جميعاً تحت هدي النبوة, وأمرها اللازم في التثبت والتبيّن, فهو ﷺ من حث على الرواية الثابتة, من الصادق إلى مثله, بقوله ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ»!. فمن صنع بعدها الموازين لإنفاذ أمر النبوة, فقد أحسن ونفع, ما لم يخالف عهداً, ولا صريحاً متزّلاً!.

فميزان "الصحيح" و "الحسن" و"الضعيف" و"الموضوع", ميزان مأّذون, لا يخالف كلمات الوحي, بل يخدمها ويبلّغها بلاغاً حسناً, على خلاف "المعجزة" المخالفة المفسدة!. ثم اعلم, أن لو قد وجدنا عند نبي الله ﷺ, من هذه الموازين أصلاً, مسمى معلوماً, غير ما بين أيدي الناس من هذه "المصطلحات", لما حلّ لنا البتّة البقاء على "مصطلحنا" المُحدث, حتى نرجع إلى ما عند نبي الله ﷺ, تماماً كما ندرأ بسائر كلام الوحي "مصطلحات" الناس!.

كذلك, اعلم أن هذا الميزان, من صنعة المؤمنين, فلهم الشكر فيه, ولا ينبغي أن يضرب به المثل, مع كتاب الله, ومنطق الوحي, سواء بسواء!. فمن تعصّب "لمصطلح مُحدَث", وتشدّد فيه وأنزله منازل الوحي, ليحاججنا به, رجعنا به إلى عهد النبوة الأول, يوم تمّت النعمة واكتمل الدين، وخلص من "المحدثات", وليعلم أنه ليس بوحي ولا بتزيل, ولا تنبغي له العصمة!.
كذلك من استدل بـ"أصول الفقه" وما اصطلح له من فروع المصطلح, فعليها ما على "مصطلح الحديث" ممّا أسلفنا, فمن تمسك وتعصّب بـ"اصطلاحه", وتعبّد بمفرداته وتسمياته, فقد أبعد وأغرق, ونردّه بما رددنا به الأول, أنه "محدث" لعلّه صواب، ولعلّه خطأ, وليس بوحي ولا بتزيل, ولا تنبغي له العصمة!.

تماماً كما أُحدث النقط والشكل على المصحف, فهو خدمة ومنفعة, خضعت للميثاق الغليظ, ألاّ تخالف نصاً أو قديماً ثابتاً من الوحي, فهو من تيسير العلم ونشره, ولا يُعلم له نهي ولا محذور, إذ ليس له أصل بديل من الوحي!, بخلاف "المعجزة" و"العقيدة" البدعة, فالجمع بينهما في المثل, غش وتلبيس!. وإن تمسّك بالتشكيل والتنقيط أحد, ليفرضه سواء مع حروف الوحي المكتوبة بين يديه ﷺ, رددناه وأعلمناه, أنّ هذه النقاط خادمة وليست بدين, وأنّ الأصل والحجة, ما كُتب بين يديه ﷺ, من غير نقط ولا تشكيل!, فما لم يشهده نبي الله ﷺ, و لم يَقل به, و لم يأمر به, فليس بحجة ولا بدين!.

فمن "اصطنع" من العلماء, تعريفاً أو اصطلاحاً ليشرح به علماً, أويُقرّب به فقهاً, –بشرط ألاّ يبدّل به نصاً سابقاً من الوحي– فهو محسن مشكور, على افتراض صوابه؛ فلعلّه أخطأ وأساء!.
أما إن جاء بالخلاف, واحتمله ليحاجج به, ويدين الناس به, كما يُحاجَجُ ويُدان بالقرآن والنبوة, فليس عندنا بحجة ولا بعدل ولا ثقة, وصنعته واصطلاحه على نفسه!.

ويسأل سائل:

أليس القول بـ"المعجزة" و"العقيدة" اجتهاداً, يؤجر صاحبه به وإن أخطأ!؟.

اعلم أنّ الدين الثابت, عند أهل الملّة جميعاً, أن لا اجتهاد فيما فيه وحي صريح وتنزيل جليّ, وإنما الاجتهاد فيما فيه تأويل, أو وجه خفيّ!, أرأيت عالماً "مجتهداً" اجتهد في "عدد" صلوات اليوم والليلة, فخرج علينا بغير ما نعرف من العدد, في الصلوات أو في الركع, أهو "مأجور" أم معتد موزور؟!.
ثم اعلم أن الله قد فصّل لنا أصول ديننا وملّتنا بحمده ونعمته, فمن تقوّل في "ثوابت" الدين فقد اعتدى {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ}.

ثم اعلم أنّ قول العامة: "إذا اجتهد المجتهد فأصاب فله أجران..", لم يردنا عن نبي الله ﷺ, بهذا النص, بل الصحيح قوله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ». فالحديث عن "حكم الحاكم" وليس عن "اجتهاد المجتهد", فيسقط بذلك استدلال من جعل "الاقتراح" و"القريحة المفتوحة", التي تخالف الثوابت وتعارضها, "كالاجتهاد المحكم المضبوط", وتبطل حجته!.

ختاماً نقول:

إذا تقبّلنا نعمة الله علينا "بهداية" القرآن، فلنا أن نُحَدّث بنعمته ونشكره على "الهدى" الذي أنعم علينا به بنعمة القرآن، وإذا تقبّلنا نعمة الله علينا "بنور" القرآن، فلنا أن نُحدّث بنعمته علينا ونشكره على "النور" الذي أنعم علينا به بنعمة القرآن، وكذلك إذا تقبّلنا القرآن "بيّنة" وتقبّلناة "بصيرة" وتقبّلناه "تذكرة"، فلنا أن نشكر نعمة الله، على ما زكا وربا فينا من "البيّنات" و"البصائر" و"الذكرى"، بنعمة القرآن!.

ولكن..

إذا تقبّلنا القرآن بـ"الإعجاز" و"المعجزات"، فبأي نعمّة نُحدّث، وعلى أيها نشكر!؟.
هل منا من سيسعى إلى الله ليشكره على ما حلّ فيه، وصار عنده، وأنعم عليه من "العجز"!؟.
{قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}.

عشرات الآيات والأدلة, تعارض وتنافي فرية "التعجيز", وتبرّئ القــرآن منــها, وتثبت له "الرحمة والهدى والنور، والحُسنى من كل مثل"!.
فهلاّ أتى القائلون بــ"التعجيز", بنص ولفظ واحد مــن القــرآن –مــن غــير تأويلاتهم–, ممّا أذن الله لهم أو رسوله به!؟.

نبدأ بآية, هي شهادة "الذين أوتوا العلم" للقرآن, وشهادة الله لهم بحسن قولهم!.
{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيــزِ الْحَمِيــدِ} (6) سورة سبأ
{ذَلِكَ الْكِتَبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (2) سورة البقرة
{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَت مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (185) سورة البقرة
{وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (221) سورة البقرة
{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} (58) سورة آل عمران
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} (174) سورة النساء
{قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَبٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَنَهُ سُبُلَ السَّلَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (16) سورة المائدة
{وَهَذَا كِتَبٌ أَنزَلْنَهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (155) سورة الأنعام
{فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} (157) سورة الأنعام
{وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَبٍ فَصَّلْنَهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (52) سورة الأعراف
{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَبِ الْحَكِيمِ} (1) سورة يونس
{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَبِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنزَلْنَهُ قُرْءنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (2) سورة يوسف
{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَبِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَلَمِينَ} (37) سورة يونس
{يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (57) سورة يونس
{وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَلَمِينَ} (104) سورة يوسف
{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (111) سورة يوسف
{الَر كِتَبٌ أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (1) سورة إبراهيم
{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (89) سورة النحل
{وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (64) سورة النحل
{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (9) سورة الإسراء
{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّلِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} (82) سورة الإسراء

{الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَنزَلَ عَلَى عَبْده الْكتَبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عوَجَا} (1) سورة الكهف
{مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لتَشْقَى. إلا تَذْكرَةً لِّمَن يَخْشَى} (3) سورة طـــه (2) سورة طـــه
{وَهَذَا ذكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكرُونَ} (50) سورة الأنبياء
{وَكَذَلكَ أَنزَلْنَهُ آيت بَيِّنَت وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدي مَن يُريدُ } (16) سورة الحـــج
{لَقَدْ أَنزَلْنَا آيت مُّبَيِّنَات وَاللَّهُ يَهْدي مَن يَشَاء إلَى صرَط مُّسْتَقيم} (46) سورة النـــــــور
{تلْكَ آيتُ الْقُرْآن وَكتَاب مُّبين. هُدًى وَبُشْرَى للْمُؤْمنينَ} (2) سورة النمل
{بَلْ هُوَ آيتٌ بَيِّنَتٌ في صُدُور الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بآيَتنَا إلا الظَّلمُونَ} (49) سورة العنكبوت
{أَوَلَمْ يَكْفهمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكتَبَ يُتْلَى عَلَيْهمْ إنَّ في ذَلكَ لَرَحْمَةً وَذكْرَى لقَوْمٍ يُؤْمنُونَ}
(51) سورة العنكبوت
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَـــهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ من رَّبِّكَ لتُنذرَ قَوْمًا مَّا أَتَـــهُم مِّن نَّذيرٍ مِّن قَبْلكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}
(3) سورة السجدة
{كتَبٌ أَنزَلْنَهُ إلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيته وَليَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَب} (29) سورة ص
{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا للنَّاس في هَذَا الْقُرْآن من كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرآنًا عَرَبيًّا غَيْرَ ذي عـــوَجٍ لَّعَلَّهُـــمْ يَتَّقُونَ} (28) سورة الزمر
{تَنزيلٌ مِّنَ الرَّحْمَن الرَّحيم * كتَبٌ فُصِّلَتْ آيَتُهُ قُرْآنًا عَرَبيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشيرًا وَنَذيرًا}
(4) سورة فصلت
{وَلَكن جَعَلْنَهُ نُورًا نَّهْدي به مَنْ نَّشَاء منْ عبَادنَا وَإنَّكَ لَتَهْدي إلَى صرَطٍ مُّسْتَقيمٍ}
(52) سورة الشورى
{فَإنَّمَا يَسَّرْنَهُ بلسَانكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (58) سورة الدخان
{هَذَا بَصَئرُ للنَّاس وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقنُونَ } (20) سورة الجاثية
{قَالُوا يَقَوْمَنَا إنَّا سَمعْنَا كتَبًا أُنزلَ من بَعْد مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْه يَهْدي إلَى الْحَـــقِّ وَإلَـــى طَريـــقٍ مُّسْتَقيم } (30) سورة الأحقاف
{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ للذِّكْر فَهَلْ من مُّدَّكر } (17) سورة القمر
{هُوَ الَّذي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْده آيت بَيِّنَتٍ ليُخْرجَكُم مِّنَ الظُّلُمَت إلَى النُّور وَإنَّ اللَّهَ بكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحـــيمٌ}
(9) سورة الحديد
{فَآمنُوا باللَّه وَرَسُوله وَالنُّور الَّذي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ} (8) سورة التغابن

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْـــلُهَا ثَابـــتٌ وَفَرْعُهَا في السَّمَاء * تُؤْتي أُكُلَهَا كُلَّ حين بإذْن رَبِّهَا وَيَضْربُ اللّهُ الأَمْثَالَ للنَّاس لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلمَةٍ خَبيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبيثَةٍ اجْتُثَّـــتْ مـــن فَوْق الأَرْض مَا لَهَا من قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذينَ آمَنُواْ بالْقَوْل الثَّابت فَـــي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفي الآخرَة وَيُضلُّ اللّهُ الظَّلمينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء}.

قل "ملّة", كما قال الله..
لا تقل "عقيدة", كما يقول الناس!.

كل ما أصّلناه في "المعجزة" مما شاع من أسئلة الناس, فهو أصل كذلك في ردّ مصطلح "العقيدة", فتراجع فصول "المعجزة" وأسئلتها واعتراضاتها, فهما من ناشئة فساد واحدة، طهّر الله قلوب المؤمنين منها!.

فـ"العقيدة" مثل "المعجزة", لا أصل لها في كتاب الله, ولا حديث النبي ﷺ ولا أصحابه من بعده!.
وكما بدّل الناس "المعجزة" بـ"الآية", كذلك بدّلوا "العقيدة" بـ"الملّة", كلمة الله, ووحيه إلى محمد ﷺ!, وقد علم من "ابتدعها" أن لا أصل لها, فخرجت مسخاً متكلّفاً, حتى بتنا لا نسمع "الملّـة" إلا قليلاً, وهي الكلمة الأحق الأعلى, وصارت "الملّة" غريبة على اللسان والقلم, وللـ"العقيدة" الحفاوة والتعرفة والظهور!.
وهذا من التعالي والاعتداء على ما لا يبدّل من كلام الله, وفيه من مثل غلوّ من سبقنا من الذين أوتوا الكتاب, أعاذ الله المؤمنين, {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ}.

ويكفي أن ينتبه كل مؤمن, أن كتاب الله الخاتم, نزل تفصيلاً وتبياناً لكل علوم "الدين" و"الملّة" و"الشريعة", و"الإيمان", وما يلزمها وما يتعلق بها من "الألفاظ" و"المعاني"؛ فجاء بها مُحكَماً جامعاً مفصّلاً؛ فّاذا علمت هذا, وعلمت أنه خلا إطلاقاً مما يسمى بـ"العقيدة" –على النحو الذي شاعت به–, علمت لزوماً أن لا علاقة لها البتّة في دين الله, من "الإيمان" و"الملّة" و"الدين"!, وإلا لكان الله العليم الحكيم, ذكرها في كتابه "المُحكَم الجامع المفصَّل", القائم أصلاً على "ألفاظ" الدين ومعانيه, من "الملّة" و"الإيمان"!.
كأن لو أنزل الله كتاباً "جامعاً مفصلاً" لـ"المقاييس", ثم خلا البتّة من لفظ "البُوصة" مثلاً, لكفى بذلك دليلاً مفروضاً أن "البُوصة", ليست عند الله من "المقاييس", لفظاً ولا معنى؛ ثم لكان على كل مؤمن "مقتدٍ" أن يذرها ويرذلها, ويأخذ بـ"مقاييس" التتريل و"كلماته"!.

فأمّا وقد خلا القرآن من لفظ "العقيدة" –بحمد الله–, وبرئت منها سنة نبيه الخاتم ﷺ كــذلك, فــلا يصحّ إشراكها مع كلمات الله, ووجب محوها وإخراجها, وردّ الأمر على الظاهر الأول من الــوحي والتتريل!. {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.

ويقول قائل: إن الأمر ليس بهذا البعد, ولم يقصد من قالها سوءً ولا عــداء, ولا حاجة للانشغال بالفروع والجوانب!.

فنقول: أي ميزان هذا, الذي يجعل أعظم الدين, ورأس الأمر, الذي قاتل عليه النبيون, وقُتلوا دونه, مــن لدن نوحٍ إلى الخاتم محمد ﷺ, وأبينا إبراهيم, وموسى وعيسى ابن مريم عليهم الصلوات, فيجعلــه مــن الفروع والجوانب!؟, أليس الأمر كله أن لا إله إلا الله؟, أليست هذه هي "الملة" بعينها,!؟ أليس جهادنــا وصلاتنا وحجنا, وكل ما ندين به, تحت "الملة", أن لا إله إلا الله؟!. وهل الإسلام إلا هي؟, وهل يقبــل الله قولاً أو عملاً, أو حبة خردل من مَن لم يُقم "الملّة" أن "لا إله إلا الله"؟, {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَــاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّــاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِــن قَبْــلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَــأَقِيمُوا الــصَّلَاةَ وَآتُــوا الزَّكَــاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَــاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}, فلم العبث والتحريف, بالاسم الذي جعله الله تعرفة الدين كله, {آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}, هل ضاقت بنا الاجتهادات والتفنينات, حــتى لم يبق إلا "ملّة" الدين؟, ولم التخافت والتغافل عن التحريف؟, أليس أعدل أن لو قام عاقل, فقال: لم تكن في الدين الأول, فندعها, ونرجع إلى ما مات عليه نبي الله ﷺ, ونقطع دابرالخلاف!. بدل الحرص والدفاع المستميت عن فسادها الباطل؟, فما لهم, كيف يحكمون!؟.

أكان الدين والكتاب مشاعاً خيَرة للناس, أن يقول الله, ثم يقولوا ما يشاؤون؟, له كتابه ولهم كتــاب!؟, {أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ}, أيرضى أحدهم أن يبدّل الناس اسمه الذي سمّاه به أهله, إلى ما يشاؤون ولا يستأذنون!؟, فلم يقبلون على الله, ما لا يقبلونه لأنفسهم {وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى}.

فها هم يجادلوننا حتى لا نرجع عن ما تقوّله بعض العلماء, فما بالهم يرجعون عمّا تكلم الله به!؟.

كذلك, نذكّر بأن المصطلح المسمّى "العقيدة" يتفق فيما بيّناه من الخلل والزلل, الذي بنيت ونبتت عليــه خبيثة "المعجزات", من أنها "تحريف" و"تبديل" لكلمات الله, وأن لا أصل لها في النبــوة والكتــاب, وأن رأس الإيمان "التبع", وأن رأس الضلال المحدث "البدع"!؟.

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ}.

فـ"الاتباع" أول الهدى, وأول الضلال "التبديل" {قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَــن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.

فكان يكفي للمؤمن أن يعلم, أن الله الذي وسع كل شيء علماً, لم يذكر في كتابــه ذلــك المــصطلح المسمى "العقيدة" أبداً, ولا قالها نبيه المعصوم ﷺ, ولا جاءت عن أحد من أصحابه الذين نقلوا الــدين!, كان يكفي المؤمنَ هذا, حتى يدعها غير مبالٍ بها, ولا عابئ!. ولكن الإنسان جدِلٌ خصيم, {يَسْمَعُ آيَاتِ

اللَّه تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا}, يجعل لحنه ولسانه سواء مع كلام الله, وليس هذا من خلق المؤمنين في شيء!. {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}.

قولهم: ليست "العقيدة" عندنا بديلاً لـ"الملّة", بل هي "تعبير عن الإيمان"!.

أولاً, لو أنصتّ لكل تعريف, لكل أهل "عقيدة", لوجدهم مختلفين متضاربين, وحسبها وحسبهم بهذا دليلاً, أنها ليست من عند الله, ولا من عند نبينا ﷺ!, فليست إلا "اختراعاً" لغوياً لمتكلم أو "متقوّل" لا يُعلم من هو!, ففيما تبدو "الملّة" جلية بيضاء, تضطرب تعاريفهم وتآويلهم, بما "ابتدعوه", فلا يكادون يجتمعون!.

ويكفيك, أن ترجع لكل حزب وفرقة, لترى الفارق والفُرقة, في الاختلاف البيّن بينهم في "تعريفها"!. ومن أجل هذا الخلاف في "التعريف", اختلفوا شيعاً!, فمن قائل قولاً: إن "العقيدة" عندهم "السنّة", ومن قائل: إنها عندنا "الإيمان", ومن قائل قولاً: إنها عندنا بمكانة "الدين" نفسه, ومنهم من يقول إنها "الشريعة"!, فلعمرو الله, ما هذا "الأصل" العظيم, الذي يقعد المقعد المكين في أعلى الدين, وهم فيه مختلفون!؟.

والأدهى من ذلك كلّه, أنّ كلاً يُعرّف "عقيدته" ويشبّهها ويمثّلها بكل شيء, إلا بـ"الملّة" نفسها!, والحقيقة التي لا مفرّ منها –لمن تجّرد وعدل– أنهم يريدون بها "الملّة"!, ولكن لأمر عظيم –لا نتّهمهم فيه– , لا نقرأ "الملّة" في "متونهم" و"نصوصهم" و"تعاليمهم", ولا نسمعها إلا نزراً قليلاً!, فلا حول ولا قوة إلا بالله!.

ولو سألتهم جميعاً, ما المراد من "الملّة" التي يذكرها ربّنا الملك الأعلى في كتابه, ونقرأها وتقرأونها؟, لرأيتهم جميعاً يقولون فيها –بيسر واتفاق– عين ما يقول كلّ في "عقيدته" إذا جاء يشرحها, ولكنهم تركوا كلمة "الملّة" وتاهوا عنها, ونسوا الكلمة والميثاق!. فكأنها سنّة الله في "التيه", فيمن بدّل وخالف!.

أما عن ما يعرضونه من العلاقة بين "الإيمان" و"العقيدة", فهو نفسه اضطراب وارتباك!, إذ هل يُعقل أن "جملة ما نؤمن به", ليس له اسم عند الذي أمرنا بالإيمان, عزّت حكمته!؟.

بل هم يشترطون "لكل مفردة ممّا يؤمنون به" دليلاً من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ, حتى إذا جئت تسألهم دليلهم عن "نحتة" "العقيدة" التي هي رأسها عندهم, وأُمها التي يصطف إيمانهم تحتها, تركوا الكتاب والسنّة, وقالوا وتقوّلوا!.

ثم هل "الملّة" إلا إيمان؟, وهل إيماننا إلا "ملّة" من إبراهيم إلى محمد ﷺ؟, وهذا شاهدها {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}, وقوله المجيد بعد ما فرض علينا "الملّة" –كما في الآية (136) من البقرة– قال {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

فبهذه الآية يتبيّن أن "الإيمان" –في كل أُمور الدين– بعضٌ من "الملّة", وأن "الملّة" هي الإيمان بالله وبما أمر به, فلا ينبغي أن تتوّج أدلة إيمان المؤمنين, ببدعة لا دليل عليها!.

وإيمان المرء إيمانان؛ إيمان يخلقه هو من نفسه لنفسه, بما يشاء عن ما يشاء, من أمر الدنيا والآخرة, شهادة أو غيباً, أو إيمان يأتيه "إملاء" و"توصية"؛ وهذا الذي يأتيه "توصية" و"إملاء" هو "الملّة" بعينها!.
فالآن فانظر, وزن "العقيدة" التي اجتمعوا عليها, أهي من مثل الإيمان الأول أم الأخير؟, فإن كان من الأول فليس من عند الله, بل هو من عند أنفسهم, وإن كان من مثل الأخير, ممّا أتاهم "وصية" و"إملاء" فهو "الملّة" ولا شيء غيرها, ويصير ما يسمى بـ"العقيدة" شيئاً خارج هذا وخلافه!.

فحيثما يقولون "نعتقد" –فيما كان في الدين–, كان الصحيح أن يقولوا "نؤمن", ثم يكون إيمانهم جُملة –بما جاءهم من الله ونبيه ﷺ إملاءً وتوصيةً– هو "الملّة" بعينها!.

فكل إيمان جاءك "إملاء" و"توصية" و"عهداً" و"ميثاقاً" –كما نزلت جميعها في كتاب الله–, فذلك هو "الملّة"!, فلا تخلط, ولا تخلق في دين الله ما ليس فيه!. فلا يعدل عن "كلمات" الله وحروف الوحي والنبوة إلى غيرها, بعدما بيّنها الله في الكتاب, إلا مفتون مستكبر في قلبه مرض!.

فقل "ملّة المسلمين", أو "إيمان المسلمين", أو "دين المسلمين", وسدّد بها مقصدك, ولا تقل "عقيدة" ولا غيرها, ولو قال بها أهل الأرض جميعاً!, فهل تعلم أحداً أعلم في دين الله ولسان التنزيل من نبي الله محمد ﷺ؟. فلمَ يلتزم النبي والذين آمنوا معه, ثم يتفنن قوم بعدهم ويتفتقون؟, فأمسك عليك لسانك, واسمع وأطع, فَكلمة الله دينٌ وقُدُس, وقد كفاك الله فاتبع سبيله!.
فخذ بـ"ملّة" إبراهيم, ودع "عقائد" المختلفين, ولو افتوْك وأفتوْك, وادّعوْا لها الإذن والحلّ!.

من أين جاء مصطلح "العقيدة", ومن أول من لَحَن به!؟.

أولاً, وجب التنبيه, إلى أننا لا نرفضها كمفردة و"نحتة" مؤلّفة, ما استعملت بعيداً عن دين محمد ﷺ و"ملّة" إبراهيم, أو في شيء من كتاب الله, وأنّ الله أبدلنا خيراً منها وأقوم, –ولكن اعلم أنها لم ترد على لسان نبي الله ﷺ أفصح العرب–, فثمّ كلمات ومفردات صحيحة الجذر والتصريف, لم نسمعها من فمه الطاهر ﷺ, ويؤذن بها بشرط وميثاق غليظ: أن لا تدخل بدلاً عن كلمة في الوحي, وأن لا تكون "وصفاً" في دين الله!. كما دخلت "المعجزة" و"العقيدة"!, فإن دخلت محلاً عن "الملّة" أو غيرها, فكل البأس بها, والعداء والنفور!.
فليستعملها من شاء بعدُ أن يستعملها, بعيداً عن ما تمّ من دين الله واكتمل, فلن تضيف على دين الله شيئاً, ولا حاجة لنا بها, ويسعنا ما وسع أبا بكر وعمر والأصحاب المقربين, أحسن الناس ديناً, وأوسعهم علماً, وأفصحهم لساناً!.

فـ"العقيدة", مَثَلها مَثل "المعجزة" النكدة, لا يُعرف لها أصل أوّل, ولا بادئ ولا صاحب, ولكنها كاليتيم الذي آواه وليّه, فاستعلى على وليّه, وملك صدر البيت!, حتى وُلد ابن الدار, فوجدهم يسمعون ويطيعون, فسمع وأطاع!, فلولا سأل سائل: لمن كان صدر البيت, قبل اليتيم!؟.
ولكن يعزّ على من امتلأ بها فمه وقلبه, وامتلأت بها عزيزة الكتب لديه, أن يخاطر بها ويهجرها, كالذي غلّ غليلة, فلما علم الناس بها, حار بها, أيمسكها على هون أم يدسها في التراب!؟.

فـ"العقيدة" محدثة بدعة, لم تكن في القرون الخيّرة الأولى, -بشهادة أهل الملة جميعاً-, حتى دخل الأعاجم, ودخل الدخن, وتكلّم الفلاسفة, وصار لكلٍ لحنه وحرفه "المصطلح", ثم سرت عُرفاً شائعاً, حتى ألِف الناس لحنها فأغمضوا فيها, وتقبلوها, ثم صارت رأساً وأصلاً, في كل الكتب, إلا في الكتاب العزيز, فاذكر هذا, ولا تنسه!.

وكان على أول من جاء بها -ولا يُعرف النكرَة-, كان عليه أولها, أن يثبتها ويقاتل عليها, أمام الحق المنزّل من السماء, ثم قعدت واستقرت, حتى طغت على "الملة", -ولا ينكر إلا مُتغافل-, ثم صار على المؤمن الغيور على "الملة", أن يغضّ صوته عند "العقيدة", لأنها في كل الكتب, إلا في الكتاب العزيز, فاذكر هذا, ولا تنسه!.

وهكذا البدعة, تكون الرَّذلة السفلى, ثم تصير ديناً, ويصير لأهلها الفرض والكلمة العليا, {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}.

{يَأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ في السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَتِ الشَّيْطَنِ}.

والسلم, هو الإسلام والطاعة والخضوع لله, و"الدخول" مأمور بـه "كافـة", في الصغيرة والكبيرة, و"الكلمة" و"الاسم" حق لله وحده في دينه وحكمه, و"العقيدة" تبديل لـ"الملة" التي في أعلى الدين, و"خروج" على الأمر بـ"الدخول كافة", واتباع لخطوات الشيطان بعدما تبيّن, ولا حجة للقائلين بها, إلا أن ألفوْا عليها كل الناس, إلا نبي الله وأصحابه ﷺ, فاذكر هذا, ولا تنسه!.

ولا تساوِ الناس بمحمد ﷺ, ولو أعجبك لحنهم, وأطبقوا الأرضين {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ}. فالقائلون بها, الحريصون عليها, المدهنون بها, قدّموا علمهم في "أصل الدين", على علم نبي الله ﷺ, وأصحابه الأركان, وقدّموا بها بين يدي الله ورسوله, وكاثروا على المستمسكين بكلمة الله "الملة" بالكتب المتأخرة, وبهالة كتّابها, من العلماء الذين نربأ بهم أن يعلموا فسادها, ثم يُبقوها ويحرصوا عليها, كما يحرص هؤلاء, المتحزّمون بكتب السابقين وأسمائهم, وقد علموا أن الكتب جميعاً, لا تقضي بشيء, عند نبي لا يخط الخط, ولا يتلو من كتاب!, ولا يبلغ أعلم العلماء, حرفاً على لسانه!. أفبكتب العلماء يردّون ويدرأون ما أوحى الله به إلى محمد ﷺ!؟.

فليسمعوا قوله ﷺ: «**أَلاَ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُتْلَى الْمَثْنَاةُ فَلاَ يُوجَدُ مَنْ يُغَيِّرُهَا**». **قِيلَ لَهُ: وَمَا الْمَثْنَاةُ؟ قَالَ: «مَا اسْتُكْتِبَ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ»**!.

فانظر ثقيل كلام النبوة, وثقيل القرآن, فلا تستبدله بالخفيف الأدنى!, ثم انظر كيف يتلقى الملأ الأعلى من الملائكة الأكرمين, كلام الله وقوله, ثم قسهم على ما عليه الناس, من الروغ والزيغ!, إذ قال ﷺ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِى السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ, يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِى قَالَ: الْحَقَّ وَهْوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»!, فنأتمّ -نحن الداعين إلى الخضعان لكلمة الله- بالملأ الأخلص الأخص, فنقول كما قالوا: ماذا قال ربكم؟, فنقول: قال الحق, وهو العلي الكبير!. {فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}, فانظر, من لأجله تركت قول العلي الكبير!؟.

ثم انظر حال الملأ الصالح, الذين أدركوا نبي الله محمد ﷺ, وانظر خضعاهم وغضهم من أنفسهم عنده, ثم قسهم على ما عليه المتشدقون ذوو الاقتراحات والاصطلاحات!, إذ قال ﷺ لأصحابه وهو يسألهم: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا». قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ, فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيه بغَيْرِ اسْمه, قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّة». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «أَيُّ بَلَد هَذَا». قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيه بغَيْر اسْمه, قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ». قُلْنَا بَلَى . قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا» . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيه بغَيْر اسْمه, قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ, عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَة يَوْمكُمْ هَذَا فِي بَلَدكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»!.

فانتبه, وقف عند ترداد الصحابة المؤمنين لقولهم: "فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيه بغَيْر اسْمه", وقولهم: "قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ". فأمسك "المؤمنون" عن أن يتكلموا في علم يعرفونه بداهة, كما يعرفون أبناءهم, مجرد أن تكلّم نبي الله ﷺ!.

ألا يعرفون "اسم" شهرهم؟, ألا يعرفون "اسم" بلدهم؟, ألا يعرفون "اسم" اليوم الذي هم فيه؟, بلى, يعرفون, ولكن بهذا اصطفاهم الله لصحبة نبيه ﷺ!. فانظر كيف, هيّأوا أنفسهم وخضعوا, أن يغيروا "اسم" بلدهم, لما "يختار" رسول الله ويسمي ﷺ, فأحلوا نبي الله ﷺ من "ثوابتهم", لما يشاء من القول والحكم. فيما نجادل نحن نبي الله وكتابه, في "ثوابته" وثوابت الدين, ونحلّ لأنفسنا التبديل والثرثرة و"الاصطلاح", جدلاً في الحق بعد ما تبيّن, كأن لم يبلغنا قوله الصدق ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلسًا يَوْمَ الْقِيَامَة الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟, قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»!. وهل أسوء كبراً من أن تقول على قول الله ورسوله!؟.

مصطلح "العقيدة"؛ هل هو مجرد خلاف لفظي مع "الملة"؟, أم "العقيدة" كـ"المعجزة", بفسادها وإفسادها!؟. ولماذا كل هذا التشديد والتحذير!؟.

بل هي كالسالفة المحدثة المبتدعة, -طهّر الله ألسنة المؤمنين منهما, ومن كل فاسدة سيئة-!, فنحتة "العقيدة" تفتقد وتخلو من شرط الدين الذي فرضه الله في "الملة", وتبطل أصلاً عظيماً من أصول الدين, فليست, ولن تكون, ولا ينبغي لها, أن تعادل كلمة الله المترّلة من عند العرش!, كيف لا, وقد بنى الله دينه على "الملة" وأوصى بها, وحرّض النبيين على قتال من خالفها, فجمع فيها -تقدس اسمه, وعزت حكمته- أمره وحقه وسلطانه, أن لا إله إلا هو؟.

تلكم هي "الملّة", إسماً ومسمىً, فلا ينبغي لعبد يؤمن بالله واليوم الآخر, أن يقرب حدّاً من حدود الله, فيعبث فيه!, ألا يغار أحدكم أن يَحرف الناس كلامه ويتركوه؟, فلمَ نجيزها على ربّنا وسيدنا العظيم, وليس أحد أغير منه, كما ثبت عنه ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَغَارُ, وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرًا».

فكما أن "الدين" "عند الله" "الإسلام", هكذا بهذا الجمع المترابط المحكم المنظوم, فلا ينبغي لأحد أن يبدّل واحدة منها!, فيبدّل كلمة "الدين", أو يبدّل كلمة "الإسلام"!, كذلك هي "الملّة", لا ينبغي تبديلها, كما لا ينبغي تبديل كلمة "الدين", أو كلمة "الشريعة", أو "اسم" الإسلام!، و"الاسم" هو في ذاته من دين الله, لا تبديل فيه, كما لا تبديل في "المسمّى".

فلا يكون حقاً ولا وصواباً ولا سديداً، إلاّ ما واطأ "الاسم" فيه "المسمّى"، وما سواه فشططٌ مختلط، فانتبه واستمسك!.

ونقول لمن يستكثر من المؤمنين هذا النصح والتحذير, ولا يرى حاجة للتذكير, باعتبارها عنده من الصغائر اليسيرة, وأن ما فيه المسلمون اليوم أشد وأولى من الاهتمام بأمور مثلها!. فنقول له: أي أمر أشد وأولى من "الملّة" التي على "اسمها ومسمّاها" قوتلتم وأخرجتم؟, وهل قوتل المرسلون وأخرجوا إلا على "ملتهم"؟, {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}؟.
فإن كانت بهذا اليسر والتصغير الذي يرونه, فليُنهوا الخلاف من الآن, وليدعوا قول الزور والعمل به، من "المعجزة" و"العقيدة", التي لا شاهد لها ولا ولي, وليأتوا إلى كلمة سواء, لا نزاع عليها ولا خلاف, {دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

وإن منهم لفريقاً يتشدّدون في نهي من "صافح" أخاه بعد الصلاة, وعلى من مدّ صوته بالأذان و"رجّع" فيه, ثم لا يبالون أن "يصفحوا" عن "الملّة" فيذروها, وعن "الآية" فيرجعوا عنها!, {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

أما المتقنّعون بدعواهم, أنْ ثمة ما هو أولى, فلنلتفت إلى ما ينفعنا, ولْنفلت أولاً ممن يتربص بنا!, فنقول لهم: كيف يفلح قوم, لا يفرقون بين كلمة "العقيدة" التي لا "أب" لها, ولا كتاب ولا نبي, ثم يتوّجون بها دينهم, وبين كلمة ربهم, في "ملّة" أبيهم إبراهيم!؟. ولا يفّرقون بين "الهدى" و"التعجيز"!؟. ربنا لا تجعلنا والمؤمنين, ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا, وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً!.
فتلكم "الملّة", ملة "أبيكم" إبراهيم, فمن –لعمرو الله– أبو "العقيدة" المزعوم!؟.

هنا مكمن الزلل والفساد!.

فقد ذكر الحكيم العظيم "الملّة" في كتابه المجيد خمس عشرة مرة, و لم يذكر "العقيدة" قط, ولا يزال حُماتها يجادلون ويختصمون–, وذكر ثماني منها متعلّقة بـ"أبينا" إبراهيم, {مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ}, –وانتبه إلى قول المجيد "سَمَّاكُم", كيف تجمع "الاسم" مع "الإسلام" تحت "الملة"!..

فهلاّ سألت نفسك: لِمَ يجمع الله بين "الملّة" و"الأب"؟, إيْ: لم نسب "الملــة" إلى "أبينا" إبراهيم؟.

لنعلم جوابها, علينا أن نتوقف ونتدبر في معنى "الملة", وفي جذرها, وفي دلالتها وشرطها!.
فأصل "الملة" من "أملى, يُملي, إملاءً", كقولنا: "أمللت الكتاب, أو أمليته", فلا تكون "ملّة" حتى يكون لها ممل يُمليها!, وهو هنا -بفرض الله وشرطه- "أبونا" إبراهيم, إذ علّة المشركين جميعـاً في "آبـائهم", فيُعلّقون شركهم بشرك آبائهم, وتدبر هذه {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}. وقوله تقدس اسمه, فيما جمعـه عن عموم المشركين {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}. فعلّة "الأب" عند المشركين جلية ظاهرة, و"ملّة" "الأب", أشد ما يجذب ابـن آدم ويؤثر فيه, من أجل ذلك ترى تحذير الله الخلائق, من أول الخلق أن يقولوا: {إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ}!. ألا ترى إلى "ملّة التثليث" لا تقوم بغير الأب "البابا"!؟.
فليس أعلم من الله بخلقه, من أجل ذلك جعل لهم من جاذبة "الأب" التي في نفوسهم, "ملة" قيمة سوية!. فـ"الملّة" إذاً, لا تكون "ملة" حتى يكون لك من يُمليها عليك!. فلا تملك أنت أن "تبتدع" "ملّـة" مـن عند نفسك, -إذ لا بد من "المملي" كما سبق-, ولكن تملك أن "تعتقد" أمراً, تبتدعه أنت مـن عنـد نفسك, لم يكن من قبل, ولا سابق له, هو لك من بعد "عقيدة"!.

ففيما تشترط "الملّة" من ذاتها وجذرها ومبناها, أن يكون لك "مُمل" يمليها عليك, أنت له فيهـا تـابع مقتد, بشاهد قوله القدوس {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}, {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}.
وفيما يُشترط لـ"الملّة" هذا المربط الأصل الذي لا تكون "ملّة" بغيره, تخلو المسماة "عقيدة", مـن هـذا الأصل الفارض المشروط, وتفتقده دلالة ومبنىً وجذراً!. إلى جانب خلوّ الكتاب والنبوة مـن "نحتتـها" وابتداعها, بحمد الله, فاذكر هذا ولا تنسه!.

"الملّة" ملجأ وحصن مكين, لا يستطيع الشيطان أن يظهره, ولا يستطيع له نقباً!. و"العقيدة", حلّ منتهك, لا أمين, ولا مكين!.

وهذا مقتل الشيطان, وخيبته وخسرانه, من أجل ذلك يستبين حذارنا ونصحنا!, ألم تره ما صبر عليهـا حتى بدّل بها "العقيدة" للناس, وأنساهم ذكرها!؟. ألم تسأل نفسك: لِمَ ترك لنـا "الـصلاة" صـلاة, و"الحج" حجاً, و"الزكاة" زكاة, وسائر الأركان, وبدّل "الملة" وأفسد فيها!؟.
فعندما ذكّرنا بمربط "الملّة" بـ"الأب", شرطاً مفروضاً لله, أن "نتبع" ملة "أبينا" إبراهيم, وحتى شمـل الله بهذا الشرط, والفرض المكين, خاتم الدين محمداً ﷺ, {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. فلن تُعقل "الملّة" حق العقل, حتى يُعقل ارتباطها بـ"الأب", وأي "أب"؟!.

فـ"الأب" هنا –وهو شرط وفرض من الله– أبونا إبراهيم الذي أراه الله ملكــوت الــسموات والأرض ليكون من الموقنين {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}. وهو الذي ربط الله الحج إلى بيته باسمه, وجعل له فيه مقاماً, وجعله للناس إماماً, وآتاه الحجــة علــى المــشركين بـ"الملة" الحق, أن لا إله إلا الله!.

وله من كل هذا نصيب من "اسمه", فالبَرَه والبرهان البالغ الحجة, في العربية جذر ســواء, وهمــا علــى الوضوح والحجة, كشرط ظاهر لـ"الملة" السواء!. {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَــعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}. فذلك هو أبو "ملتنا" إبراهيم الحجة, الأبيض البرهــان, فمــن كان كذلك, كان حرياً بها "أباً" للـ"الملّة" الحجة البيضاء!. كذلك هو أبونا, الذي ما ذُكر نبي في القرآن على خلاف مع أبيه, قدر ما ذكر "أبونا" إبراهيم!, {إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَــا عَكِفُونَ}. {إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ}. {إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ}. {وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ}.

وفي موقعنا مزيد بيان عن "الملة والأب" فراجعه!.

فانتبه إلى شرط ارتباط "الملّة" بـ"إبراهيم", ارتباط الحبل المتين, بأصلٍ وتدٍ مكين!. ثم سائلنا بعدها: لِــمَ أَبَيْنَا نحتة "العقيدة" المُنفكّة البتراء!؟.

فالله بحمده ونعمته, جعل لنا "ملة" ذات حجة وبرهان, وأعلى سندها إلى "الأب" الحجــة "إبــراهيم", الشاهد على الملكوت, أمره الله بها, ووصّاه أن يأمر بها بنيه, ويأمر بها بنوه بنيهم من بعد, هكذا ســنداً متصلاً متيناً إلى "أبينا" "إبراهيم"!, فالآن فتدبر الآيات كلمة كلمة, {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَهِــمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ –إنتبه إلى "الإملاء العالي من العرش"–قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَهِــمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْــطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}. وانتبه –هدانا الله وإياك– إلى قوله المجيد " وَوَصَّى ", لــتعلم صدق ما قلنا: إن "الملّة" إملاء وتواصٍ!, ثم انتبه إلى إبراهيم "الأب", ثم إلى قوله المجيد " بَنِيهِ ", لتعلم مــا قلناه عن وجوب "الإملاء المسند المتصل" من "الأب للبنين", شرطاً لـ"الملّة"!. ثم قوله المَجيــد تأكيــداً وتكراراً: "وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ", لترى مرة أخرى مكانة "الأب" –هو هنا يعقوب– في التواصــي وتوصــيل "الملّة" المملاة على "البنين"!. فـ"يعقوب" من جذر العقب والتعاقب, من التتالي والبقاء حــتى العاقبــة الأخيرة, لأجل ذلك تبدأ بـ"إبراهيم", وتتواصل وتتعاقب بـ"يعقوب", "كلمة" باقية لها العقــبى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فــي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. وتدبّر كيف جعل الله "الملّة" في "الكلمة", وجعل من "الكلمة" ديناً, {وَجَعَلَهَــا كَلِمَةً}!.

ثم تدبّر قوله القدوس شهادة على "وصية" يعقوب, تأكيداً ووصلاً قبل انقطاع سلسلة السند, {أَمْ كُنــتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي –وانتبه إلى "الإملاء" المكرر من "الأب لبنيه" , فهو يؤكد الوصية, ليسمعها "سرداً" كما "أملاها" عليهم–, قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَــهَكَ وَإِلَــــهَ آبَائِــكَ إِبْرَهِــمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَــهاً وَحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}. وانتبه إلى جوابهم "المسرود" الملقّن, وانتبه إلى استحضارهم واستذكارهم "الشرط" الأكيد, من قولهم: {إِلَــهَكَ وَإِلَــهَ آبَائِكَ}, فلــم يكتفــوا بقولهم "إِلَــهَكَ", بل هم يعرفون الشرط والفرض, فقالوا: "وَإِلَــهَ آبَائِكَ", فانتبه!.

ثم تدبّر ما يليها من الآيات جيداً, وانتبه إلى "الإملاء" والتلقين, {وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ — هذا "إملاء وتلقين ضلال–, قُلْ: —وهذا إملاء وتلقين هدى– بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً— رجوعاً إلى وصية الحق الأولى– وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُواْ: –وهذا "أعلى إملاء مسند" من عند العرش– آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

رأيت هذا كله من الكتاب المنير, من الشهادات البيّنات, ورأيت "الملّة" صريحة بيضاء, ورأيت خيرها وحسنها وأمنها, فهلاّ أتاك سدنة "العقيدة" بمثل ما أتيناك؟, {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ. بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}.

مثل للتوضيح والبيان

تشبه "الملّة" "الملجأ الحصين", وتشبه "العقيدة" "البيت المفتَّح", –كفى الله المؤمنين بدعتها–, فكلاهما في ظاهره مآوى, ولكل —في الظاهر– بابه وسقفه, ولكن الأول "آمن" محصّن محفوظ, قائم عليه "أب" ورب, والأخير, حلٌ وعَرض سائب, يقوم عليه من يشاء, متى يشاء, كيف يشاء!. ألا ترون المسلمين "عقائد" مختلفات, و"ملّة" واحدة؟, ألم تسمعوا بـ"عقيدة" الجماعة الفلانية, و"عقيدة" الفرقة الفلانية, و"عقيدة" الطائفة الفلانية, بينما هم أجمعون, شهود على "ملّة" "أبيهم" إبراهيم!؟. فلو كانت "العقيدة" وصية مسندة إلى "الأب" إبراهيم, لما اختلف البنون فيها!.

ثم تراهم بعد افتراقهم, يقيم كلٌّ منهم على "بيته المفتّح", "أباً شيخاً كبيراً" يقوم "مقام" أبيهم إبراهيم عند "البيت الحرام"!.

لأجل ذلك فرض الله التبع لكلماته ووحيه بغير تبديل, ولا تحويل, ولا التجاء أوالتحاد لأحد, فقال سيّدنا العظيم {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}, و"الملتحد" هو الملجأ, فلا تلجأ لكلمة غير كلمة إلهك السيد الأعلى, فانتبه!.

"الملّة" حصن المؤمن, و"العقيدة" حَلّ الشيطان وحيلته!.

فإن جاءك الخبيث الشيطان يراودك عن "إيمانك" ودينك, وكنت من أهل "الملّة", فلك الحق كله أن تُحيله كفاية وإسناداً, على من أوصى لنا بـ"الملّة", وأملاها علينا ابتداء, وهو "أبونا" إبراهيم, فليست "الملّة" بدعتنا من عقولنا وهوانا, و لم "نعتقدها" تكلّفاً ولا اختلاقاً, ولسنا فيها سوى تابعين مسلّمين, فعلى الشيطان أن يراجع "أبانا" إن كان واثقاً من حجته!, ويعلم المحتال, أن لا حيلة له مع "الأب" إبراهيم المحصّن المحفوظ!, فلا حَلّ له, إلا أن يقطع ما بينك وبين "أبيك" إبراهيم, حتى لا تتحصن بـ"الإملاء" الملقن المسند إلى "أبيك", فيستفرد بك, ويستحوذ عليك, فيُتبعك خطواته, فتضل بعد هدى!. فإن فعلت فقطعت "الملّة" إلى إبراهيم, فقد صرت أسيره, فقاعدك وشكّكك وريّبك ولبّس عليك, وعقد لك "العقد", ونفث ونفخ, وخيرك بين الحبائل كلها "المعقودة" في يده, إلا حبل "الملّة" إلى "أبيك" إبراهيم!.

ومَثَله بهذا, مَثَل الفاجر الغرور, الذي يرواد الأمَة الشريفة عن نفسها, فتستعصم بأن لها "أبــاً" ووليّــاً, "يُملي" عليها الحق والشرف, فليكلمه إن كان صادقاً نصوحاً!, فلا يزال بها لتدع "أباها" ومــا "يملــي" عليها, لتبدأ هي من عند نفسها "رؤيتها" لأمرها, ولتكوّن "عقيدتها" الخاصة بدل "ملّة" الــشرف مــن "أبيها"!, فتسهل عليه, فيفترسها!, وهذا أول الشَرَك والخطيئة, فانتبه!.

وعليك بحصن الغلام الذي شبّ صالحاً على "ملّة" أبيه, فاستعصم واستمسك, ذلك النبي ابن النبي ابــن النبي ابن النبي, يوسف بن يعقوب بن اسحق بن أبينا إبراهيم, -وهذا أعلى سند صحيح متصل في الــدين والملّة-, إذ قال لفتيي السجن {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ * وَاتَّبَعْــتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ}, وانتبه لقول المستمسك يوسف عليه الــسلام: {وَاتَّبَعْــتُ مِلَّــةَ آبَآئِي}, لتبرهن لك كل ما قلناه, عن "الملّة" و"الأب", و"الاتباع", ولتعلّمنا "التبــع" في الــدين, بــدل "البدع"!.
{وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ}, وقوله تقدّس اسمه: {وَاصِــبًا}, أي: ديناً دائماً قائماً, لا ينقطع, وليس هذا إلا من شروط "الملّة" وإحكامها المتين, و"العقيدة" فقيرة مجّردة, مما اشترطه المتين الحكيم لدينه, عزّت حكمته!. {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِــالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا}. وهل هذه الآية إلا في "الملّة" أن لا إله إلا الله؟, وهل غير "المَلّة" التي يسميها الله, بـــ"العروة الوثقى" التي "لا انفصام لها"!؟.
فـــ"الملّة" صلةٌ وصل, توجب التبع, والعقيدة حَلّ منقطع, لا يوجب وصلاً ولا اتباعاً, فانتبه, وقف حيث أوقفك "الكتاب"!.
أليس المسترسلون بـــ"العقيدة" هم من يُعلّم المؤمنين, أن الصالح ابن الخطاب كان وقّافاً عند "الكتاب"!؟, فما بال المعلّمين اليوم, يوقفون "الكتاب", ويكتبون فوقه!؟.

ألا يكفي أن يذكروا أن المعتدين من الناس يسبون "الملة" و"الدين" إذا تسابّوا, ولا يذكرون "العقيدة" في سبهم؟, ألعل من يغويهم بالسباب, هو من أغوى بـــ"العقيدة", فلا يأذن لهم, ولا يغريهم بها!؟.

ألا يكفي أنهم يقولون: إن القول أو الفعل الفلاني يخرج صاحبه من "الملّــة", ولا يقولون يخرجه من "العقيدة"؟, فسبحان الله, أيدخل حين يدخل في "العقيــدة", ويخرج حين يخرج من "الملّة"؟.

بل لعل الشيطان يعلم أن من خرج من "العقيدة" فلا إثم عليه -إذ هو خرج ممّا لا أصل لـــه-, فلـــذلك وجب عنده أن يدخلهم فيما لا أصل له, حتى إذا أخرجهم, أخرجهم من "الملة" و"الدين" الثابت!.

ثم يقول المتقوّل الغَرور بعد هذا: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِم مُّقْتَدُونَ}, فلن نبرح عليها عاكفين, ولا زالت عندنا أحسن الدين, فلا بأس بها!, ليُرْدُوا المؤمنين, وليَلْبِسوا عليهم دينهم, فـــذروهم وما يفترون!. {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}.

فما الفرق بين "الملّة" و"الشريعة" والدين"!؟.

فكلها في كتاب الله, ويراد بكل واحدة منها مراداً مخصوصاً, لا يصح أن تُبدّل بها كلمة غيرها, فلا يصح أن نقول: إن "الملّة" هي "الدين" أو "الشريعة"!. فليس في كلام الله مُقاربة, ولا كلمة يصح غيرها محلّها!.

"الملة"

جُلّ ما وردت فيه في القرآن, كانت في "الإيمان" بـ"التوحيد" والحنيفية!, و"التوحيد" هو من تسميات نبي الله محمد ﷺ, هوعلّمها المسلمين, وليست بمصطلح ولا بدعة!.

وعامة ذكر "الملّة" في القرآن كان لإبراهيم ﷺ, فهي جزء عظيم من عموم الدين, وبعض من كل, إلى جانب ما بيّناه فيما سبق.

ويشرح هذا آية سورة البقرة, بما تركّز فيه على "التوحيد" {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَهِـمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَد اصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَهِـمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ, يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَهِـمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

فالملّة مخصوصة في القرآن بـ"الإيمان" وركن الدين الأعظم، أن لا إله إلا الله، فالملّة هي "الحنيفية" أن لا نشرك بالله شيئاً!.

"الشريعة"

وهي أحكام "كتاب الله" لـ"النبي", -هكذا بهذ الربط- التي تُنزل أوامر الله ونواهيه منزل الفعل والأداء, بشاهد سورة الجاثية {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ}.. {ثُمَّ جَعَلْنَكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا}, فـ"الشريعة", هي ما "يحكم" به "النبي" من "كتاب الله".

فالتوراة كتاب الله لبني إسرائيل التي يحكم بها أنبياؤهم, فهي بهذا لهم شريعة {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَـةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَبِ اللّهِ}.

"الدين"

وهو مجموع "الملّة" و"الشريعة" معاً, أي "الإيمان", من"الحنيفية" والتوحيد, ثم الأحكام المنزلة المفروضة مما شرعه الله وأمر به ونهى عنه, من "العمل", وهو ما نتلوه في كتاب الله من قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، فهذا بمجموعه هو "الدين الخالص", {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ – وهذه هي "الملّة"- وَيُقِيمُوا الصَّلَوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوةَ –وهذه هي "الشريعة- وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}, وهذا هو الدين "كلّه"!.

فلا يخلص الدين كله لله إلا أن تكون "الملّة" لله, وتكون "الشريعة" لله, {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه}. ولا يُقرّ الله "ديناً" غير "الإسلام"!.

ومن تدبر آية الأنعام بانت له بيضاء, {قُلْ إِنَّنِي هَدَنِي رَبِّي إِلَى صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ, دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}؛ فـ"الملة", ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين, و"الشريعة" هذه {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ}، {لاَ شَرِيكَ لَهُ – فـ"الملّة" له و"الشريعة" له- وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

فمن آمن أن لا إله إلاّ الله, فقد أصاب "ملّة" الإسلام.
ومن احتكم لكتاب الله, فاتبع أوامره ونواهيه على لسان نبي قومه المرسل إليه –إلى أن يبعث محمد ﷺ– فقد وافق "شريعة" الإسلام.
ومن جمع "ملة" الإسلام –وهو اسم "دين" الله– و"شريعة" الإسلام, فصار أمره كله لله فذلك المسلم, {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.
ومن وافق "ملّة" الإسلام وخالف "شريعة" الله فليس بمسلم, كذلك من وافق "الشريعة" وخالف "الملّة" {حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ, وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}.

فـ"الملّة" لا يبدّلها الله, ولا ينسخها البتة, {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ}, و"الشريعة" يُزاد فيها ويوضع, بأمر الله {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}.
والدين الواحد المجتمع بـ"الملّة" و"الشريعة" لا يتبدّل, "ملّته" قائمة متصلة, تُملى من نبي إلى نبي, ويوصى بها من عهد إلى عهد, {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَهِمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ}, وأركان الشريعة ثابتة, من الصلاة والصيام والزكاة, في كل الكتب وعند كل النبيين, ثم يفصّل الله ما يشاء وينسخ ما يشاء.
فبهذه "الملّة" القائمة المُملاة المتصلة, وهذه "الشريعة" القائمة بأركانها المُوسعة بتفاصيلها كما يشاء الله, بهذا كله يبقى "الدين" كله خالصاً لله, واصباً لا ينقطع, {وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ}.

فأن تُقحَم "العقيدة" البدعة على هذه الأركان الثلاثة, ثم تصير لها أُماً وإماماً, فهذا هو الإحداث والتبديل بعينه!.

ويقول قائل: إن مصطلح "العقيدة" شرح وتعريف للـ"ملّة"!, و"المعجزة" شرح وتعريف للـ"الآية", فما المانع من تداولها واعتمادها!؟.

نقول: إن من يشرح شيئاً أو يعرّفه, شرحاً هو في ذاته "معقّد" مركّب, يعوزه نفسه الشرح والتعريف, فقد أساء من حيث أراد الإحسان!. ثم, ألا تروهم, يّعرفون "العقيدة" و"المعجزة" تعريفها المخصوص بها؟!, فلو كانت "العقيدة" و"المعجزة" تعريفاً –كما يزعم إخواننا – لما لزم أن تعرّف وتشرح, وقد جاءت بنفسها للشرح والتعريف!, أما وقد انكبوا على تعريفها وشرحها, ولهم فيها مذاهب مختلفات, فقد ثبت أنها شيء غير "المعرَّف" المراد, من "الملّة" و"الآية"!, فتعريف يلزمه تعريف, ليس بتعريف!؟.

ثم إنهم يعرّفون "العقيدة" تعريفاً يخلو من ذكر "الملّة" إطلاقاً, فكيف وهي أصلها وأساسها –إن كان كما يزعم إخواننا –؟, ولو كان كما قالوا, لوجب أن ينسبوها ابتداء إلى الأصل الذي جعلت لأجله, كأن يقولوا: "العقيدة" تعريف يراد به "الملّة", أما ولم يفعلوا, فثبت بطلان ما يقولون!.
وإن قالوا: لم نقصد بـ"العقيدة" الملّة، فقد جمعوا إيمانهم على شيء ليس من دين محمد ﷺ، وحسبهم بهذا ضلالاً!.

ثم إن تعريف "العقيدة" عندهم, أشبه بتعريف "الملّة" ذاتها, فماذا عليهم لو عرّفوا "الملّة" بهذا التعريف من أصلها, بدل التشدق والتنطّع المذموم؟, فثبت بهذا كذلك, أنها حشو مدسوس, ليس إلا!.
وذلك, كله بعد ما أثبتناه, من فسادها وضلالها وانحرافها, فليست بتعريف, وليست بحق!.

ويسأل سائل:

أليس في قوله المجيد {وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَنَ}, جواز على استعمال "العقيدة"!؟.

نقول: هذه الآية وردت في قوله المجيد {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَنِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَنَ } (89) سورة المائدة, وورد مثلها في قوله المجيد {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} (33) سورة النساء. واستدل بها سدنة "العقيدة", الممجدون لها, استدلالاً ركيكاً ضعيفاً, أمام ما أنزله الله من متين الكتاب, وصريح الوحي على لسان محمد ﷺ!, إذ قالوا: إن معقد اليمين, محله القلب, فوقع بهذا "العقد" على القلب, فجاز بعد ذلك أن يقال لما وقع في القلب "عقيدة"!!.
فنقول: هذه "التفاف" و"توصيف" ممكن, لو لم يرد في كتاب الله ما يردّه ويبطله, وفي حديث نبينا ﷺ كذلك، ما يؤخره وينفيه!, أمّا وقد جاء صريح النبوة والكتاب بخلافه, فلا سمعاً ولا استحساناً ولا قبولاً, وحسبنا الكتاب والنبي ﷺ, إلا أن يكون معهم أفضل وأمثل!. ثم نقول "للمجتهدين في موارد النصوص": ألا تشهدون معنا أن نبي الله محمداً ﷺ, أعلم منا ومنكم بكتاب الله, وبما يُستنبط منه, وبالعربية وما تحتمل؟. سيقولون: نعم, نشهد, فنقول: إن كان ﷺ قد فاقكم, علماً وبصيرة, ولم يستنبط استنباطكم, ولم يقل قيلكم, علمنا قطعاً, أن لا خير في نبطها ولا حجة ولا حاجة, فمن استنبط فرضاً بعد الفرائض المكتوبة, فإنما هو أحد اثنين!, فوجب الانتهاء عند حدّ النبي الأعلم الأتقى ﷺ!.

ويسأل سائل:

ورد عنه ﷺ قوله: «لاَ يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ عَلَى ثَلاَث خِصَالٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ», فهل في هذا جواز "العقيدة"؟.

نقول: أولاً, المستدل بهذا الحديث الطيب, كالمستدل بالآية التي سبق سؤالها هذا السؤال تماماً, فما أخطأوا به من استنباطهم من الآية, أخطأوا به في الحديث!, إذ ما زلنا نسألهم عن موضع "صريح" من كتاب الله, أو على لسان نبيه ﷺ, يذكر فيه لفظة "العقيدة" هكذا صريحة, لعلهم يجدون به مخرجاً من حصن كلمة "الملّة" الذي ضاق بهم ذرعاً!, ولم نسألهم أن يأتونا بفعل "اعتقد" و"يعتقد", بل بـ"العقيدة", هكذا صريحة صارخة, لنقابل بها خمس عشرة آية تذكر "الملّة" ملء الفم والعين!. ولا يتفلّت من آياتها ويزيغ عنها إلا من أرهقه حمل الكتاب!.

ثم إن هذا الحديث جاءنا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه من طريقين مختلفين, ورد في أحدهما ما احتجوا به, فيما خلت الرواية الثانية من حجتهم, وجاءت هكذا: « ثَلاَثُ خِصَالٍ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ». فعلى من استدل بهذا الحديث, أن يثبت إحدى الروايتين أولاً, ثم يحاجج الناس بها!, فلعل التي

خلت من حجتهم هي الأصدق الأصح!, إذ لو قال ﷺ: "يعتقد", فلم جاءت في الرواية الأخرى "يغل"؟. وهل نجيز بهذا الحديث "اصطلاحة" جديدة, نستبدل بها "الغليلة" بـــ"العقيدة"؟, فالاثنتان من الحـــديث, ولا فرق فيهما لمستدل!.

فالحديث بمجمله ومعناه حجةٌ صدق, ولكنٍ لا يحتج باللفظة التي "اختلفت" فيه, حتى نثبت أنها هي التي نطق بها ﷺ!, ولُيعلم بعدها أنها لا تقوم حجةً أمام خمس عشرة آية بينة, لا ريب فيها ولا اختلاف!. فكم من رواية في الحديث, تأخرت أمام أختها الأوثق الأثبت!, أثم يُدافعون برواية تدافعها رواية, خمسة عشر "يقيناً" من كتاب لا يدافعه شيء!.
{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَـــهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَـــى اللّـــهِ رَاغِبُونَ}.

ما يقول المتهونون بنصحنا وحذارنا, بهذا الحديث الطاهر: «لاَ تُـــسَمُّوا الْعِنَـــبَ الْكَرْمَ, فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ!»؟.

ها هو نبي الله ﷺ, يفرض نبوته على الصغيرة والكبيرة, و"ينهى" أن "يُسميَ" المسلمون العنـــب الكـــرم, وهي من جوانب الأمور وأطرافها!, فكيف إذا سمع النبيُ ﷺ سدنتهاَ الحماة, يملأون أفواههم بـــ"العقيدة" و"المعجزة"!؟. ولعلهم سيأتونه بالأدلة و"النصوص", والآراء و"الفتاوى", لعله يتابعهم فيه!. {وَلَـــيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى}.

ثم أين هم من حديثه ﷺ, يعلّم به صاحبه ابن عازب ما يدعو به, فقال ﷺ في آخره: «..آمَنْتُ بِكِتَابِـــكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ» . فقال صاحبه من ورائه ليستذكرها: "وَبِرَسُولِكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ" — بدلَ أن يقول "وَبنبيك"!َ. فقَالَ ﷺ: «لاَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ»!. فصحّحه ﷺ ونهــاه عــن تبديلـه "الرسول" بـــ"النبي", وانتبه جيداً إلى قوله ﷺ "لا"!, مع أنه "النبي" و"الرسول", وكلتاهمـــا في القـــرآن والحديث, وكلتاهما صالحة طاهرة, ولكنه "الدين" والكلمة, ممّا لا ينبغي فيه تبديل!, فكيف بمـــن تـــرك كلمة الله, وابتدع ما لا أصل له, ولا خير فيه, ثم يريدنا أن نؤمن أنّ ما جاء به الوحي, وما "ابتدعه" هو, كلٌّ سواء!؟.

فلا تتابع أخي إلا على ما عرفت من دينه ﷺ, وجاءتك به البراهين والبينات, وحاذر الفيهقة والبدع, ولا تستخفن بالمصطلحات المحدثات على التتريل, فقد جاءنا النهي الصدق عن نبي الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً يَهْوِى بِهَا فِى جَهَنَّمَ »!.
وعليكَ بهَدي محمدَ ﷺ, فلن يأتوك بأحسن منه, ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً, فقد جاءنا الـــصدق أن نبي الله ﷺ, أخذ بلسانه, وقال لمعاذ بن جبل: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقَال معاذ: يَا نَبِىَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ به!؟, فَقَالَ ﷺ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ, وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُـــوهِهِمْ أَوْ عَلَـــى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»َ.

ويقول قائل: إنما العبرة في "نيّة" القائل بـ"المعجزة والعقيدة", فإن قصد خيراً, فلا بأس بها!.

فنقول: لا تجزئ "النية" الحسنة, في العمل السوء, ولا تبرره!, ولكن يُذكّر صاحب الزلة, ويُنهى عن خطأه, فإن رجع غفر الله له, ولا تثريب عليه, وإن أصر عليها بعد العلم والبيّنة, وبطر واستكبر, فقد أساء وتعدّى وظلم!.

فإن قوماً أحبوا ربهم, حتى نسبوا له الولد, تقرّباً إليه وتودّداً و"نية حسنة"!, فضلّوا وظلموا, وكرههم ربهم وأبغضهم, ولم تنفعهم "النية الحسنة"!. فالتزم واتبع, واسمع لله وأطع!. فلا تجزئ النية, إلا فيما أحلّه الله, وأمر به, بعد العلم والبينة!.

فنقول لإخواننا المستمسكين بها: إن كنتم تقصدون بقولكم "العقيدة" عين ما قاله الله العظيم "الملّة", أو "الإيمان" أو "الدين", فلا نعلم لكم إذناً ولا عذراً, لتخالفوا من خلق الملكوت بـ"الكلمة", فلا تُترك "الملّة" الممدودة إلى العرش, إلى "العقيدة" المبتورة في الأرض, {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ}, فوجب عليكم تركها إلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة, ولا نعلم مؤمناً يفاضل على ربه!. أما إن كانت "عقيدتكم" شيئاً غير "الملّة" التي في التتريل, فلا حجة بيننا وبينكم {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.

ستَسألون, وسيُقال لكم..

ستسألون من تظنون به الخير: ما تقول فيمن ينهى عن قول "المعجزة" و"العقيدة", على أنها ليست من كتاب الله, ولا حديث نبيه ﷺ, وأن الأثبت الآمن أن نقول "الآية" و"الملة", كما قال الله!؟.

وسيُقال لكم: لا بأس باستعمال هذه "المصطلحات", فقد وردت في كثير من كتب العلماء, وما زالوا يقولون بها من غير نكير!.

فقولوا لهم: فهل علينا من بأس إن تركنا المحدثة, من "المعجزة", و"العقيدة", وأخذنا بالآمن الأثبت, ورجعنا إلى ما مات عليه نبي الله ﷺ, وأصحابه العلماء الأمناء, فقلنا بقول الله, "ملّة" و"آية"؟.

فسيقولون, -ولا ينبغي لهم غيرها-: لا بأس أبداً!.

فإن قالوا كذلك, فقولوا: فأينا أهدى, وأصدق قيلاً؟, من تابع محمداً ﷺ, أم من تابع غيره؟, من رجع فاستمسك فأمن, أم من أحدث وأقام على حَدَثه!؟. وإن تماروْا وجادلوا بها, فاعلموا أنه الكِبْر المحذور, {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ثم نقول لمن أفتى أنْ لا بأس بها ولا حرج: أبهذا اُمرتم, وعلى هذا واثقتم؟, {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ}؟!, أعن البأس والحرج سُئلتم, أم عن الحق والنبوة

والكتاب!؟. أعن محمد ﷺ سُئلتم, أم عن "المشيخات والكتب"؟, ألو كان محمد ﷺ ينظر في عين من سيجيب, أكان يقول –وعينه بعين نبي الله ﷺ–: لم نسمعها من محمد ﷺ, ولا من كتاب الله, ولكن قالها "العالم" فلان, فلا بأس بها!؟. واذكروا قوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ, ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»!.

"الدجال" وراء الفساد في الدين, و"الدجال" كلمةُ كذب, ولا يبطله إلا "كلمة" الله وروحه ابن مريم, بأنّ الله يُحقّ الحق بـ"كلماته", فانتبِه لكل "كلمة" تقولها في دين الله!.

وإنما "الدَجَل", التمويه والطلي والتخليط والكذب, فلا تقبل خلطاً ولا تبديلاً ولا طلياً لـ"كلمة" واحدة من كلام الله المجيد, صغُرت أم كبُرت, فكيف تقبلها في عظيم الدين وفي سبيله؟, إن هذا لهو أول الزلل, وفساد الدين!.

ثم انتبه, إلى مكانة "كلمات" الله التي لا ينبغي لها أن تتبدل, وعلوّها وسلطانها, كيف يجعل الله لها الغلبة في الدنيا والآخرة {وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

فإن لنتم و"غُلبتم" على "ملّتكم", و"آية" ربكم ونبيّكم, فلأنتم غداً أهون وأيسر على "الدجال"!, فليسحرنكم, بـ"الخوارق" والتهاويل, وليعقدن عليكم "العقد", وليحرّفن وليبدلنّ لكم ما لا تعرفون بما تعرفون!. فالبصيرة البصيرة, فإنه "أعور" كذاب, {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ * وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

ثم قف عند هذه وتريث وتدبر, كيف جعل الله "كلمته" ابن مريم, هو روحه, وروحه "كلمته"!, ثم أنزل "كلماته" إلى محمد ﷺ بـ"الروح"!. ثم ادخر "كلمته" و"روحه" ابن مريم, ليبطل به "الدجال" الكَذب!.

أفرأيت ثقل "الكلمة"؟. أثم يصطلحون ويبدّلون كلمة ميتة بلا روح, بـ"كلمات" الملك القدّوس!؟.

ختاماً وتذكرة

نقول لإخواننا المستمسكين بالبدعة من "المعجزة" و"العقيدة", الحريصين عليها, إنكم تشهدون معنا وتتفقون, أن أحسن الدين وأتمه وأكمله, ما كان في العام الذي قبض فيه نبينا ﷺ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَمَ دِينًا}. فإن كنتم محتجين علينا بدين, فليكن مما اتفقنا عليه من ذلك العام, ومما حفظه لنا الخلفاء الراشدون المهديون عن نبينا ﷺ, –إلا أن يروا أن من سيحتجون بهم من العلماء –رحمهم الله–, أتوا بما لم يأت به نبي الله الخاتم المعصوم ﷺ!–. فيأتونا بالقيل والقال, وقال فلان, وقال فلان!, ويتركوا قول الله ورسوله, ليدحضوا به الحق, ويصرفوا الناس عن القرآن, {الَّذِينَ يُجَدلُونَ فِي آيَتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}, فإذا رأيتم ذلك فاعلموا أنه تلبيس وتدليس, وتسحير وتغرير, وأن لا حجة علينا فيه حتى نلقى الله!.

{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَبَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.

تذكير واختصار لأصول ما سبق

- نقول بقول الله: "آية", ولا نقول "معجزة" ونقول بقول الله "ملّة" المسلمين, أو"إيمان المسلمين" أو "دين المسلمين" ولا نقول "عقيدة"!, لأن الدين اكتمل في حياة نبينا الخاتم المعصوم ﷺ, ولم يكن يومها من هذه "المحدثات المبتدعات" شيء, ولم تُروَ عن أحد من أئمة الصحابة الأركان العدول, وزراء نبي الله ﷺ, وحملة الدين كله, الذين تتلمذ العلماء جميعاً على فقههم وعلمهم, فلا نجعلهم تارة أئمتنا, وتارة نؤخرهم, ونقول في الدين ما نشاء!.

- القول بـ"المعجزة" و"العقيدة", ليس مجرد خلاف لفظ أو اصطلاحٍ كما يُظن!, بل هو تحريف وإفساد, وطعن في الدين, نبرّئ منها العدول من العلماء الصالحين, ونتهم بها عدوّاً من غيرنا, ألقاها دسيسة مفسدة, مما تبين لك من تضادّها وتناقضها, وإبطالها لحكمة "الملّة" و"الآية" وطهرها!.

- الأمر شديد كبير, وليس من الترف اليسير, لأنه تحريف وعبث في متون الدين!, بل هو موضع التهمة والشبهة!, وحسبها ريبة, أن لا يَعلمَ أحدٌ لها أصلاً, ومن الذي بدّلها وحرّفها, هي بالذات, دون عرى الدين, لتصرف المؤمنين عن بركة "الملّة" والكتاب!.

- نشدّد ونؤكد على ترك القول بـ"المعجزة" و"العقيدة", لأنهما حلّتا محلّ كلمات الله الطاهرة العلية, ولا ينبغي لهما, ولا يماري في ذلك إلا متغافل!, وليس أدلّ من ذلك, أننا لا نسمع إلا بـ"القرآن المعجز", ولا يفاخر إلا بـ"إعجازه", ولا يُعرض إلا "إعجازاً", فللـ"إعجاز" المؤتمرات والدعوات, والنوادي الكثيرة!. ثم أنصت لمن شئت من خيرة العلماء والدعاة, كم يذكر "العقيدة", ويَدَعُ "الملّة"!.

- لا حجة لمن يستدل على ثبوتها وصوابها, بالاعتماد على "آراء" الإخوة العلماء و"أقوالهم", و"قيل وقال", وأجازها "فلان"!, فليس الدين دين "فلان", حتى يُجيز ويمنع!, ومن سُئل في شيء من

"الدين", فليجعل نفسه في يوم وفاة نبينا ﷺ, ثم ليستشهد علينا -من ذلك اليوم- وليستدلّ بما شاء من النبوة والكتاب!, فذلك دين الله, أو بما كان عليه الصحابة الراشدون المهديّون!. وما بعده, فظن عبد أو فهمه, ولا حجة فيه على أحد!.

- لا حجة البتة, في قول من قال: لا بأس باستعمالهما ولا حرج!. إذ لو كان قولهم حقاً صواباً, لسمعناهما من أعلم الثقلين ﷺ, فهما على أثقل عرى الدين!, أما و لم نسمعهما, فليستا بشيء, ولا خير فيهما ولا منفعة, وإثمها أكبر من نفعهما!. ومن استحسن غريباً لا برهان له به, فلسيتحسنه في نفسه, ولا ينشره في المسلمين!.

- لا بأس أن نصنع شيئاً حديثاً ينفع الناس, ثم نسميه و"نصطلح" له بالأنسب الأَوْلى!, أما ما جاءت النبوة والكتاب به, صريحاً مسمّى, فلا يصحّ ولا يجوز خلافه, ولا اصطلاح شيء غيره, فهذا من الجرأة والتطاول على نصوص الوحي القدّوس, ولا يتابع أحدٌ فيه, كائناً من كان!.

- الأسماء والأحكام وقف على سلطان الله, يحكم بما يشاء, ويسمي ما يشاء, ولا ينبغي لمؤمن أن يبدّل في حكم, أو يحرّف في اسم!. ولا نكون "مستمسكين" بكلمات الله, ونحن نمسك معها ما يخالفها!, وإنما "المستمسك" من أخذ بالحق, وترك ما سواه {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ}.

- "الأسماء", أول الحكمة, وأول أمر أبينا آدم في السماء, ثم استخلفه الله بعد أن علّمه "الأسماء", ثم افتتح الله كتابه الخاتم بـ"الاسم", فقال {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}, ثم جعل لنفسه تسعة وتسعين "اسماً" عليها مجامع الملّة والدين, لا تصير مائة إلا بعلمه وإذنه, فمن تهاون في "أسماء" الدين فقد اعتدى على سلطان الله, وتلسّن فيما ليس له بحق!. ثم اذكر -حفظك الله- أن الأصنام والأوثان ليست سوى "أسماء" ما أنزل الله بها من سلطان!.

- لا يكفي أن نشهد ونُقرّ أن "الملّة" و"الآية" أولى وأصحّ من "العقيدة" و"المعجزة"!, فهذا تلبيس وتضليل, فإذا كان لله كلمة, ولغيره كلمة, فلا مفاضلة ولا أوْلى ولا تخيير, إلا أن يرى صاحبها أنه ندّ لله فيها!. فوجب نبذها والتبرؤ منها ومن أمثالها, ومن كل محدثة بدعة.

- لا حجة لمن قال: إن في إثارتها فتنة واختلافاً, فالأولى تركها وبقاؤها!, ونقول: إنما الفتنة والاختلاف, فيما خالف النبوة والكتاب, لا فيمن أصلح وأمر بالهدى والمعروف!. فكما اُدخلتا تُخرجان, ولو بعد حين!.

- هذا بلاء وفتنة, في أصل الدين وأول التنزيل, ولئن استثقل المؤمنون هجرها وإصلاحها, فهم عن ما بعدها أبعد وأضعف!, ولن يرجع لهم أول دينهم وسلطانهم, حتى يرجعوا هم لأول دينهم و"ملتهم", "كلمة" كلمة, و"سُنّة" سُنّة, وذلك منهاج النبوة الذي يوعدون!. {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَفِرِينَ}.

بهذا نبرأ ونهجر, نحن "أهل القرآن", كل "مصطلح" أو كلمة مبدّلة لكلمات الله, كما نهجر ونبرأ من كل محدثة في الدين, وننصح للمؤمنين أن يستمسكوا بكلمات الله, فهي أحسن القول والحديث, وندعو الإخوة العلماء والدراسين, أن يُمسّكوا المؤمنين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ, وأن يدعوا ما سواه!, وأن يأخذوا الكتاب بقوة, وأن يأمروا قومهم يأخذوا بأحسنه, ونُشهد الله علينا وعليهم, ألاّ يُخالفوا كلمة الوحي, وأن لا يقدّموا بين يدي الله ورسوله, وأن لا يساووا أحداً بنبي الله ﷺ, ولو كان أعلم أهل الأرض!.

فما كان عند نبي الله ﷺ وأصحابه فهو الدين كله, وما بعده فقول ورأي, وحق وباطل, ولا حجة فيه على الله, ولا على رسوله ولا على المؤمنين, {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}!. ثم لا يضرّهم من أين جاءهم الحقّ, وأتتهم البينة, فالحقّ أحقّ أن يُتّبع, ولا يدعه بعد حجة, إلا مستكبر, بَطّر الحق, وغمط الخلق, والله لا يحب المستكبرين!.

وأن يستنّوا بسنة العلماء من أصحاب نبي الله ﷺ, وأن يتناهوْا عن سنة الذين بدّلوا نعمة الله, واتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}. وأن يذكروا ما أخذ الله من الذين أوتوا الكتاب من قبلنا {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}.

فهم ورثة النبوة, فلا يحلّ لهم أن يُعلّموا المؤمنين شيئاً ليس من ميراث النبي ولا من تركته ﷺ!. {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}.
فإن فعلوا, فقد نفعوا –نفعهم الله–, وهم منّا ونحن منهم. {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}!.

وَالْمُؤْمنُونَ وَالْمُؤْمنَتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاء بَعْض يَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَر وَيُقيمُونَ الصَّلوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَيُطيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ
أُوْلَئكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعزَّة عَمَّا يَصفُونَ * وَسَلمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَلَمِينَ

رسائل

"أهل القرآن"

بيت المقدس

صلاح الدين إبراهيم أبو عرفة
رمضان 1427